

تأليف
السيد محمود شكري الآلوسي
"رحمه الله"

دراسة وتحقيق
د. علي فريد دحروج
أستاذ علوم القرآن
في المعهد العالي للدراسات الإسلامية

الناشر
دار الكتاب العربي

كنز السعادة

في شرح الشهادة

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م



فردان - بناية بنك بيبلوس - الطابق الثامن تلفون: ٨٠٠٨٣٢/٨٠٠٨١١/٨٠٥٤٧٨

تيليفاكس ٨٦١١٧٨ تلكس: L.E.٤٠١٣٩ كتاب برقيا: الكتاب ص . ب: ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد:

فإني كلما سرَّحت البصر في آفاق الكون الفسيح، واستشرفت بالنفس والروح هذا الفضاء الواسع، تراءى لي قول: «لا إله إلا الله» بما تمثله هذه العبارة من معاني لا يحصيها بيان ولا يحصرها لفظ.

ولقد وقع لي ـ بحمد الله تعالى ـ أن حصلت على نسخة مخطوطة من كتاب يشرح هذه العبارة، مشفوعة بنبوة رسولنا محمد ﷺ، وأعني به كتاب: «كنز السعادة في شرح الشهادة»، لمؤلفه محمود شكري الآلوسي. وبعدما تصفحته وقرأت ما فيه، لم أجد أحداً من قبل تكلم في موضوعه حتى الآن، بمعنى لم أقرأ لباحث أو مؤلف خاص في بيان معاني الشهادة والألوهية والنبوّة بأسلوب أخاذ وعبارة جذابة في كتاب واحد جامع يجعل القاريء مشدوداً من أوله إلى آخره، حتى وقعت على هذه المخطوطة، فاستخرت الله تعالى واستعنته على إماطة اللثام عنها وإظهارها بصورة جذابة مشوقة تليق بجلال العزة والحضرة والشفاعة، سيما وأن كثيراً من أبناء المسلمين اليوم لا يعرفون قيمة الشهادة ولا يدركون مرماها ولا مضمونها ولا مغزاها، فضلاً عن أن البعض منهم لا يتورّع عن (مسبَّة الله تعالى وشتم النبي عليه السلام). فكان هذا الكتاب لِيَسُدَّ فراغاً في المكتبة الإسلامية وكتب العقيدة، وفراغاً آخر في الإدراك والمعرفة الروحية.

لـذلك، فقـد قمت بنسخه عن أصله المخـطوط وخرَّجت آيـات القرآن الـواردة فيـه والأحـاديث النبـويـة، وتـرجمت لـلأعـلام. كمـا شـرحت بعض الكلمـات والألفاظ التي ـ رأيتهـا ـ تحتاج إلى بيـان معنى، وعلَّقت على بعض المسـائـل كلمـا دعت الحـاجـة. كمـا لم يفتني أن أخـرّج الأشعـار وأنسبهـا لقائليها ـ كلما أمكن ـ.

وإتمـاماً للفـائدة كـان لا بد لي أن أعـرض لحيـاة المؤلف وشخصيتـه ومنهجـه في المخطوط مـع وصف للمخـطوط أيضـاً. وهـذا مـا جعلني أقسم عملي إلى قسمين: الأول وفيـه دراسـة عن المؤلف وحيـاتـه وعن المخــطوط ومنهجه فيه. الثـاني وهو تحقيق النص. فـالله تعالى أسـأل أن يجعله خالصـاً لوجهه الكريم وأن ينفع به في السرّ والعلن آمين.

د. علي فريد دحروج

بيروت في ٢٤ رمضان سنة ١٤١٠ هـ.

٢٠ نيسان سنة ١٩٩٠ م.

القسم الاول

حول المؤلف ومنهجه في المخطوطة

حياة المؤلف وشخصيته

هو محمود شكري بن عبد الله (بهاء الدين) بن محمود (شهاب الدين) الآلوسي الحسيني، أبو المعالي. ولد في الرصافة من ضواحي بغداد المشهورة عام ١٢٧٣ هـ - ١٨٥٧ م. وتوفي ببغداد عام ١٣٤٢ هـ - ١٩٢٤ م.

نشأ المؤلف في بيت علم ودين وأدب. وقد ورث هذه الصفات عن أبيه وجده وأعمامه الذين تبوأوا مكانة عالية في ميدان الصلاح والإصلاح، وأثروا المكتبة العربية والإسلامية بالعديد من المؤلفات في شتى فروع المعرفة والعلم والثقافة.

فأبوه هو السيد عبد الله بهاء الدين بن محمود بن عبد الله الآلوسي. ولد في بغداد عام ١٢٤٨ هـ - ١٨٣٢ م. درس الفقه على أبيه وتخرج فقيهاً شافعياً ثم تولى منصب القضاء. ونظراً لما كان لوالده من مكانة فقد ترقى عبد الله في مناصب الدولة وترفع. فعين مدرساً، ثم أصابه المرض واحتاج إلى المال فلجأ إلى الزهد والتصوف مما أضطره إلى أن يبيع عقاره وكتبه وسافر إلى استنبول. وفي الطريق اعترضه قطاع الطرق وحاولوا إيذاءه فعاد إلى بلده صفر اليدين لم يحقق الحلم الذي من أجله سافر. وبدافع الحاجة الملحة اضطر إلى العمل الحكومي فتولى قضاء البصرة مدة سنتين. وفي هذه الأثناء أصابته الحمى وانتشرت في جسمه ولم يعد يقوى على القيام بأعباء الوظيفة فرجع إلى بغداد حيث فارق الحياة عام ١٢٩١ هـ - ١٨٧٤ م. بعد صراع مرير مع المرض. لكنه على غرار والده ترك بعض المصنفات بخطه وأحياناً بخط ابنه محمود والتي لا يزال بعضها موجوداً لم يطبع بعد، وهو

محفوظ في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد قسم الخزانة النعمانية الآلوسية. ومن هـذه المصنفات: المتنـان في علمي المنـطق والبيـان، الـواضـح في النحـو، التعـطف على التعرف في الأصلـين والتصـوف وهـو بخط ابنـه محمـود وغيـر ذلك[1].

وأما جده فهـو العلامـة محمود بن عبـد الله الحسيني الآلوسي، الملقب بشهـاب الدين. ولـد ببغـداد عـام ١٢١٧ هـ. ـ ١٨٠٢ م. وفيهـا تـوفي عـام ١٢٧٠ هـ. ـ ١٨٥٤ م. إشتغـل بالتفسيـر والحديث والأدب وبلغ شـأواً بعيداً في هـذه العلوم. لذلـك يعتبر الآلـوسي الكبير هـذا من المجددين في الفكـر الإسلامي تبعاً لما تفرضه الظروف والتغيرات السياسيـة والإجتماعيـة التي كان العراق يمر فيها من ناحية، والمنطقة العربية من ناحية أخرى. ونـظراً لجرأتـه وعلمه وكفاءته فقد أسند إليه منصب الإفتاء عام ١٢٤٨ هـ. لكنـه لم يلبث أن عزل منه فإنقطع للعلم: وهنـا نرى غـلـبة الإتجاه السلفي على فكـره ومعتقده ونظرته الإصلاحية النابعة أصلاً من اجتهاداته.

سافر الآلوسي الكبير عام ١٢٦٢ هـ ـ إلى الموصل فالآستانة وتنقل في مدن عدة حيث لقي من التكريم والإحترام لا سيما في بلاط السلطان عبد المجيد. بعد عامين تقريباً قضاها الآلوسي في الآستانة عاد إلى بغداد ليتفرغ إلى التأليف والتدوين، فسجّل ملاحظاته ومشاهداتـه وما حـدث معه، وأعـاد النظر فيما كان قد وضعه وتابع نشـاطه العلمي والبحثي منكبـاً على العلوم المختلفة ينهل منها. وبقي على هذه الحال إلى أن وافاه الأجل ببغداد. وقد كان موضع إجلال وإعزاز من العامة والخاصة.

من أشهـر مصنفـاتـه التي تـركهـا: روح المعـاني وهـو كتـاب كبيـر في التفسيـر، نشوة الشمـول في السفـر إلى إسـلامبـول، وفيـه يـدون رحلتـه إلى الآستـانة، ونشـوة المدام في العـود إلى دار السلام، غـرائب الإغتـراب وهـو كتاب قيّم حيث ترجم فيه لكل من لقيه أو جالسه، كما أنه يمتليء بالمناظرات والأبحـاث القيمة. كـذلك من مصنفـاته: دقـائق التفسير، الخـريدة الغيبيـة، كشف الطّرة عن الغرّة الذي يشرح فيـه درة الغواص للحـريري، مقـامات في

---

(١) لمزيد من التفصيل عنه راجع ما كتبه الأستاذ محمد بهجة الأثـري في كتابـه: محمود شكـري الآلوسي وآراؤه اللغوية ص ٣٧، هدية العارفين جـ ١ ص ٤٩٠، الأعلام جـ ٤ ص ١٣٦.

التصوف والأخلاق عارض بها مقامات الزمخشري، الأجوبة العراقية عن الأسئلة الإيرانية، حاشية على القطر في علم النحو. وله أيضاً شعر جيد وإبداع في الإنشاء والمراسلات. وقد ألف بعض الباحثين والأدباء المعاصرين رسائل قيمة في ترجمته وحياته.[1].

أما سبب تسميته بالآلوسي فهو نسبة إلى جزيرة «آلوس»[2] في وسط نهر الفرات، على بعد خمس مراحل من بغداد. وتروي كتب التاريخ أن الجد الأعلى لأسرة الآلوسي فرَّ إليها من وجه هولاكو التتري عندما دهم بغداد واستقر فيها فنسب إليها وأصبح يعرف باسم الآلوسي.

إذاً، نشأ محمود شكري الآلوسي في بيت علم وأدب وصلاح وتقوى ودين، فكان طبعياً أن يتأثر بتلك الروح التي سادت وسيطرت على مشاعره وفكره وسلوكه. فنراه يعمد إلى الإصلاح وسيلة لتغيير بعض المفاهيم الموروثة والتي كانت تقف حجر عثرة في سبيل الرقي والنهوض بالأمة، لا سيما وأن البدع المضللة منتشرة في البلاد. أضف إلى ذلك العادات والتقاليد التي كانت تحد من حرية التفكير وتلجم العقل وتجعله أسيراً للممارسات الخاطئة، فتصدى لها محمود شكري الآلوسي ووضع العديد من الرسائل يطعن بها وبأهلها ويهاجمهم ويفنّد آراءهم مما سبب له الكثير من الأذى فعاداه خلق كثير وسعوا به لدى والي بغداد (عبد الوهاب باشا)، فما كان من الوالي إلا أن كتب إلى السلطان العثماني عبد الحميد الثاني فصدر أمر بنفيه إلى بلاد الأناضول. فلما وصل إلى الموصل سنة ١٣٢٠ هـ قام أعيانها وساداتها ومنعوه

---

(١) أنظر عنه: أعلام العراق ص ٢١، جلاء العينين ص ٢٧، المسك الأذفر ص ٥، أعيان البيان ص ٩٩ وما ذكره إبراهيم حلمي العمر في مجلة لغة العرب جـ٣ ص ٦٩.

(٢) هذه البلدة تقع بالقرب من بلدة أخرى إسمها عانة على الفرات. ذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان جـ١ ص ٦٠ باسم (آلوسة) وفي الجزء الأول ص ٣٢٦ باسم (ألوس). كما سماها محب الدين النجار في تاريخ بغداد. كذلك نقل ابن خلكان في وفيات الأعيان جـ٢ ص ١٤٥ (آلس) بالمد وضم اللام. وورد ذكرها في اللباب لابن الأثير جـ١ ص ٦٦ باسم (ألوس) بضم الهمزة. وفي شذرات الذهب جـ٤ ص ١٨٥ (ألوس) بفتح الهمزة. وفي مجلة لغة العرب جـ٣ ص ٦٩ (آلوس). كذلك فإن أحفاد الآلوسي الكبير حتى يومنا هذا يكتبون الإسم بمدّ الهمزة وهو ما نراه مدوناً على غلاف بعض المؤلفات. وهذا ما درج عليه مؤلفنا صاحب هذه الترجمة عند كتابة إسمه بأن يضع مدةً فوق الهمزة كما هو ملاحظ في الصفحة الأولى من غلاف المخطوط. راجع: الأعلام جـ١ ص ٢٥.

من الدخول إليها والإستقرار فيها وكتبوا بذلك إلى السلطان يحتجون فأجابهم إلى طلبهم وعاد محمود شكري الآلوسي إلى بغداد. وبعودته إشتد عوده وآزره خلق كثير واستمر يناضل ضد البدع والخرافات التي لا تخدم سوى العدو المستعمر، خاصة وأن البلاد كانت على شفير مجابهة عنيفة مع المستعمر البريطاني. وما إن قامت الحرب العالمية الأولى وهاجم البريطانيون العراق إنتدبته الحكومة العثمانية آنذاك للسفر إلى نجد وملاقاة أميرها عبد العزيز آل سعود الذي أصبح ملكاً للسعودية فيما بعد، وطلبوا منه النصر والمؤازرة والعون ضد البريطانيين. وقد سافر الآلوسي إلى السعودية عام ١٣٣٣ هـ. عن طريق سوريا والحجاز وطلب من الأمير عبد العزيز ما جاء من أجله، فاعتذر الأخير وخاب ظن القاصد، وعاد إلى العراق مخفقاً. وبعد ذلك اعتزل العمل ولزم بيته عاكفاً على التأليف والتدريس والمناصحة. وعندما احتل البريطانيون بغداد عام ١٣٣٥ هـ، عرضوا عليه منصب القضاء فزهد فيه ولم يجبهم إلى رغبتهم لأنه أنف من مخالطتهم حتى لا يقال إنّه إنما ينفذ رغبة المستعمر ويكون بالتالي أسير هواهم وميولهم. ولم يكن له بعد ذلك من أثر في الحياة العامة سوى عضويته في مجلس المعارف في بدء تأليف الحكومة العربية في بغداد إلى أن توفي فيها.

علمه ومؤلفاته:

ذكرنا أن محمود شكري الآلوسي نشأ في بيت علم ودين. ونتيجة لما كان عليه أبوه وجده وأعمامه من مكانة مرموقة، كان طبعياً أن يكون هو الآخر من المجددين المصلحين والعلماء العاملين في شتى ميادين المعرفة والثقافة. وهو لذلك جند كل طاقته ولم يدخر وسعاً إلا واستنفده في البحث والتأليف والمناظرة والتدريس. وقد أحصى له بعض الدارسين والباحثين ما يزيد عن خمسين كتاباً ورسالة متنوعة في أغراضها ومقاصدها ومضامينها بحيث يجد الناظر فيها سعة أفقه وغزارة علمه وعظيم فضله.

ومن هذه المصنفات على سبيل المثال: بلوغ الأرب في أحوال العرب ويقع في ثلاثة أجزاء، وقد نال عليه جائزة لجنة اللغات الشرقية باستوكهولم، أخبار بغداد وما جاورها من القرى والبلاد ويقع في أربعة مجلدات، المسك الأذفر في تراجم علماء القرن الثالث عشر، مساجد بغداد، تاريخ نجد، أمثال العوام في دار السلام، رياض الناظرين في مراسلات المعاصرين، بدائع

الإنشاء، الآية الكبرى في الرد على الرائية الصغرى، الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر، عقد الدرر شرح مختصر نخبة الفكر وهو في مصطلح الحديث، ما دل عليه القران مما يعضد الهيئة الجديدة، فتح المنان وهو يرد فيه على أهل البدع في الدين، تجريد السنان في الذبّ عن أبي حنيفة النعمان، مجموعة في تراجم بعض علماء بغداد، صب العذاب على من سبّ الأصحاب، غاية الأماني في الرد على النبهاني، وغير ذلك من الكتب والمؤلفات التي لا يزال قسم كبير منها مخطوطاً لم يطبع بعد ويوجد في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد قسم الخزانة النعمانية الآلوسي.

وإضافة إلى ذلك فقد نظمت فيه القصائد والمراثي وألف البعض فيه دراسات ومقالات، لعل أشهرها ما كتبه الأستاذ محمد بهجة الأثري في دراسة عنه بعنوان: محمود شكري الألوسي وآراؤه اللغوية[1].

أما فيما يخص الكتاب الذي نحن بصدده أي (كنز السعادة في شرح الشهادة) فيبدو أن المؤلف فرغ من تأليفه في سنوات شبابه الأولى وهو لم يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر وذلك واضح من الفرق بين تاريخ ولادته (١٢٧٣ هـ.) وتاريخ الإنتهاء من المخطوطة المثبت في نهايتها وهو عام ١٢٩٨ هـ. وإنْ صح ذلك، فهو ولا شك دليل قاطع على مبلغ علمه وسعة إدراكه وغزارة إطلاعه لأنه ـ كما هو واضح في مضمون النص ـ قد إطلع على الكثير من كتب الأولين في ميادين المعرفة الواسعة من اللغة والأدب، التاريخ والسير، الفقه والأصول، التصوف والزهد، التفسير والحديث وغير ذلك مما هو مبين في مضمون النص.

وصف المخطوطة ومنهج المؤلف فيها:

توجد المخطوطة في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد مديرية الآثار العامة قسم حيازة المخطوطات، تحت رقم ٣٦٤٢٢.

عدد أوراقها (٣١ ـ ٦٢) ق.

القياس: ١٣ × ٢١ سم.

---

(١) لمزيد من التفصيل عنه أنظر: أعلام العراق ص ٨٦، عشائر العراق جـ ١ ص ١٦، لب الألباب ص ٢١٨، مكتبة المتحف العراقي ص ١٢، بروكلمان جـ ٢ ص ٧٨٧، مصادر الدراسات جـ ٢ ص ٤١، الأعلام جـ ٧ ص ١٧٢.

عدد السطور في كل صفحة: ١٩ سطراً.

وهي مكتوبة بخط الرقعة، خط حسن وجميل وواضح ومقروء بكل سهولة. وتخلو المخطوطة من أيّة تعليقات على هامش السطور إلا ما ندر من بعض الكلمات، ولعلها تكون استدراكات من المؤلف نفسه.

ويعود تدوين وكتابة المخطوطة ـ وهي بخط المؤلف نفسه ـ إلى العام ١٢٩٨ هـ. لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة كما ورد ذلك مثبتاً في آخر ورقة في المخطوطة حيث يقول المؤلف: «وقد استراح القلم من تسويد هذه الأرقام لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة من السنة الثامنة والتسعين بعد المائتين والألف من هجرة الحبيب عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، وذلك على يد جامعها الفقير السيد محمود شكري إبن السيد عبد الله بهاء الدين الآلوسي غفر الله لهما ولكافة المسلمين، يوم الثلاثاء وقت آذان المغرب».

تبدأ المخطوطة بحمد الله تعالى والصلاة والسلام على نبيه جرياً على عادة العلماء في التأليف. ثم يوضح المؤلف سبب تأليفه وهو أنه أراد أن يكتب كتاباً لم يؤلف فيه من قبل وأن يشرح عبارة لم تشرح من قبل أيضاً، ورأى أن عبارة «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله» رغم أهميتها في حياة الناس عقيدة وسلوكاً لم يكتب فيها أحد كتاباً شافياً يستوفي جميع المعاني المطلوبة. لذلك يقول المؤلف: «فإستعنت بالله تعالى على هذا المراد وتمسكت به جلّ شأنه في الهداية إلى طريق السداد، وسميته كنز السعادة في شرح الشهادة».

ويسترسل المؤلف في سرد العظة وبيان فضل الله تعالى على الإنسان، وأن الإنسان مهما حاول بلوغ الغاية من العبادة فهو لن يستطيع توفية حق الله عليه. ثم يشرع في بيان معنى الشهادة في اللغة والفقه والأصول (ويستشهد لذلك بالآيات والأحاديث وأقوال الفقهاء وأشعار العرب. كذلك يفرد للدقائق اللغوية والبلاغية ما يزيد عن خمس عشرة ورقة حيث يوضح المعاني التي تترتب على استعمال (إن)في جميع صورها، وكذلك (لا) النافية وأسلوب الإستثناء والقصر وأثر ذلك في تخريج الحكم الشرعي كما هو مبيَّن في كتب الأصوليين ويذكر آراء العلماء والفقهاء والمحدثين وغالباً ما يعزوها إلى مصادرها ومظانها.

ثم يوضح المؤلف المعاني التي تشير إليها العلوم الأخرى من فلسفة،

ونـراه هنا يـذم الفلسفة وتعلمهـا متأثـراً في ذلك ببعض الفقهـاء الـذين شنـوا هجـوماً عنيفـاً عليها من قبـل كإبن الصـلاح الـشهـرزوري وغيـره. ويعـرض المؤلف لبيان المعاني الصوفية، وهنا أيضاً نـرى الروح الصـوفية تسيـطر على فكره ومنهجه وأسلوبه بل لعـل هذه الـروح هي نفسها التي دفعتـه لكتابـة هذا الكتاب.

على أن المؤلف لم ينس أن يـرشد القـاريء إلى مـا يتـرتب على معنى الألوهية ووجوب معرفة الله تعالى نصـاً وعقلاً.

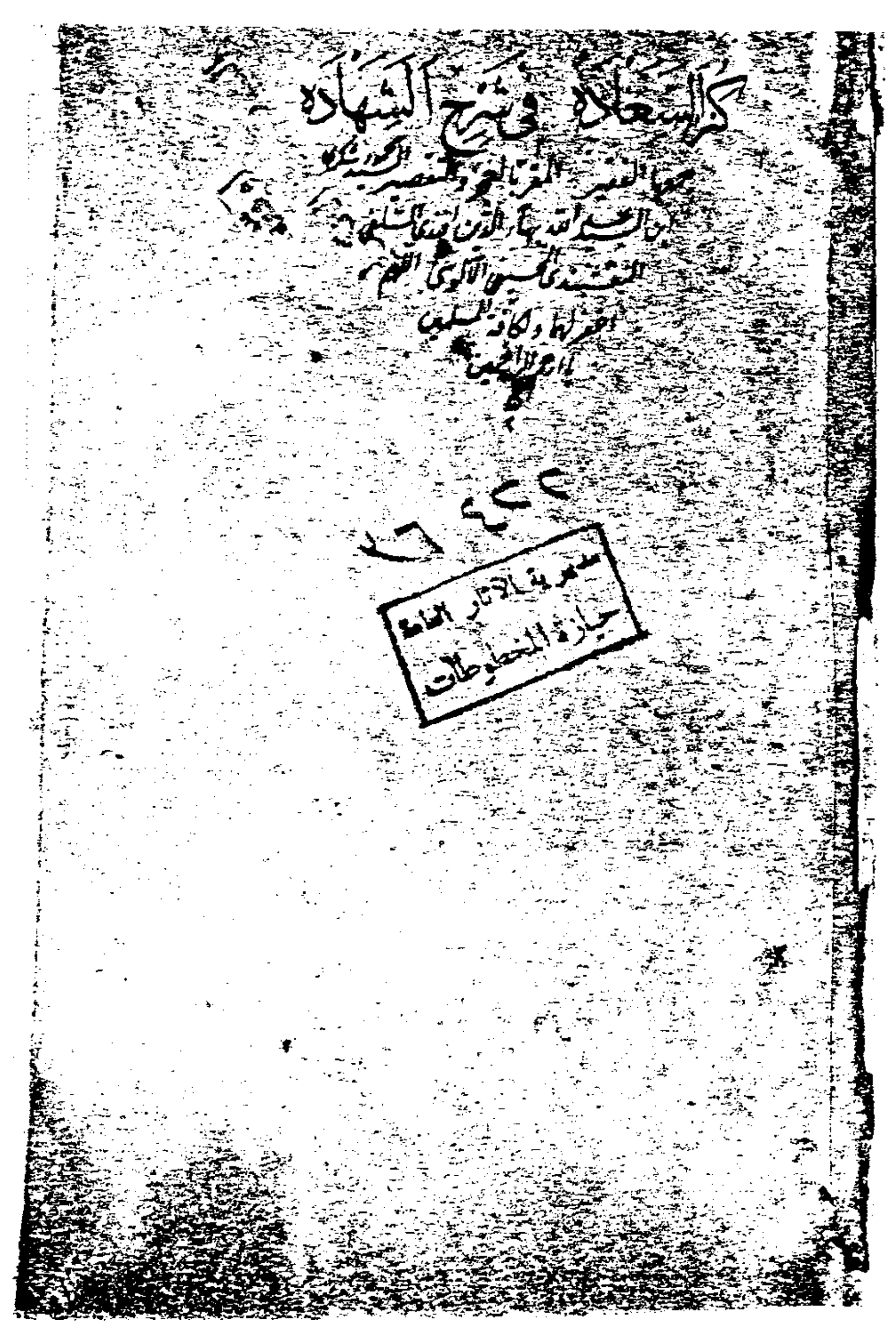
وفي الشـطر الثاني من الشهـادة أي عبـارة: «وأشهـد أن محمـداً عبـده ورسوله». يوضح المؤلف معنى العبـودية لله ولمـاذا أضيفت كلمة العبـودية لله مع ارتباطها بالنبي محمد ﷺ باللفظ (عبده) ويسترسل بعد ذلك في بيان ثبوت النبوة للرسول عليه السلام وأن شريعته ناسخة لكل ما سبقها، وأن فضل نبينـا يفـوق فضل سـائر الأنبيـاء. وهنا نـرى المؤلف يوازن بين مـا جاء بـه الأنبيـاء السـابقون من معجـزات وما أكـرمهم الله تعـالى بـه ومـا خصّ بـه نبينـا عليـه السلام.

وينتهي المؤلف بعد جولة طويلة له في ربوع الشهادة إلى خلاصـة وهي أن الإنسان مهما حاول أن يدعي العلم فهو مقصّر لأنّ علم الباطن والظاهـر لا يزال سراً محجـوباً. ومـا صنعه هـو ليس سوى تفسيـرات لبعض الرمـوز التي اشتملت عليهـا الشهـادة ولـو أنـه أراد التـوسعـة أكثـر لبلغ ذلـك مـا بلغ من المصنفات، فاقتصر على هذا المقدار بعد مراجعة وتمحيص وبيان.

والملاحظة في المخطوطة أن المؤلف لم يقسمها إلى فصول بل لم يضع أي عنـوان داخل النص يفصـل به بين غـرض وآخر. وسيـدرك القاريء ذلـك بنفسه. لكن هذا لا يجعل المعاني متداخلة بعضها ببعض إذ من السهـل جداً أن يعرف القاريء بـداية ونهـاية كـل معنى بحسب العلم أو الفن الذي ينتمي إليه هذا المعنى أوذاك. وقد وضعت بعض العناوين الفرعية حسبما يقتضيه الكلام.

ومرة أخرى تظهر شخصيـة المؤلف العلمية في الحشد الكبير من الآراء والتحليـلات التي يوردهـا في ثنايـا الكتاب ممـا يمكن أن نصفه بـالموسـوعـة العلمية وهو لما يتجاوز بعد الخامسة والعشرين من العمر. فجزى الله المؤلف عنا خير الجزاء.




كنز السعادة في شرح الشهادة

مديرية الآثار العامة

صورة غلاف المخطوطة ويبدو عليها الختم والرقم

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لمن شهدت بوحدانيته الأكوان وظهرت آثار قدرته على صفحات
الأيام والأزمان تجلى بذاته لذاته وتميز بجليل أسمائه وشريف
صفاته ونصب على عرائس الكائنات قواطع أدلة أحديته ونظم في سلك
امتناع تسلسل الموجودات براهين ألوهيته وصلاة وسلاماً على أول
من أول من تشقق من عنصر رياه الوجود وأكمل من أشرق عليه نور
كوكب العلى ومنح عليه آثار السعود وأجل من نطق بكلمة التوحيد وجد
كمهر قلبه على تقديس ربه المجيد وعلى آله وأصحابه الذين شهدوا
الحق بمشاهدة تجلى عن ظهر الغيب واعترفوا بربوبيته اعترافاً خالياً
عن كل ريب وبعد فيقول الفقير إلى الله تعالى القدير
أسير هواه النفسي جمال الدين السيد محمود شكري بن السيد عبد الله بهاء الدين
الحسيني الآلوسي غفر الله لهما وتفضل جل شأنه بمزيد فضله عنهما
إني قد علقت شرحاً على دعاء الشتاء في مضى من الزمان ووقع ذلك
لدى الفضلاء المنصفين في حيز الاستحسان فأحببت أن أشفعه

بشرح

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة

المقدار . واكشف بما اودعت من الدقائق والاسرار . لما ان حوادث الزمان
قد شتت الافكار والاذهان . ولقد بذلت مزيد الجهد في كشف كنوز دقائقها
وصرفت غاية الوسع في فتح مقفلات جواهر حقائقها . حتى اني لم ازل اناء
الليل واطراف النهار . اسرح في رياض مبانيها ومعانيها الانظار والافكار
وقد نقبت كل قول لقائله . واملت كل بحث طويل الى محله . ولم يكن مما
انتجه فكري الكليل . الا اقل قليل . وقد راجعت بغالب مسائله فضلاء
الزمان . وتلقيت اكثر فوائده ومباحثه عن المشايخ اهل العرفان .
فاستعيذ بالله تعالى من جاهل يتجاهل . او حاسد يعرف الحق ويتجاهل .
والمسؤول منه جل شانه ان يبلغنا احسن الامل . ويوفقنا في القول
والعمل . ويحيينا من فتن الدنيا ومحن الآخرة . ويمتعنا يوم الفزع الاكبر
برؤية الطاهرة . والحمد لله على ما الهمنا من حقائق المعاني . ووفقنا
جل شانه لكشف دقائق المباني . والصلوة والسلام على بحر العلم وكنز
الحكم . وافضل الانام وخير الامم . وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه
ما وحد موحد . وعبد الله عابد . واسئل الله تعالى ان يجعل هذه الكلمة
المباركة رفيقتي حين الممات . ومؤنسة لي في ظلمات القبر بعد الوفات .
ويجعلني بهذا الشرح قرير العين . ويبلغني به امنيتي في الدارين . وقد
استراح القلم من تسويد هذه الارقام . لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة
من السنة الثامنة والتسعين بعد المائتين والالف من هجرة الحبيب عليه
افضل الصلوة واكمل السلام . وذلك على يد جامعها الفقير الى المجيد شكري
ابن السيد عبد الله بهاء الدين الآلوسي
غفر الله له ولكافة المسلمين
يوم الثلاثاء وقت
اذان المغرب

صورة الصفحة الأخيرة ويبدو فيها تاريخ الإنتهاء من المخطوطة

القسم الثاني

«النص»

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

حمداً لمن شهدت بوحدانيته الأكوان، وظهرت آثار قدرته على صفحات الأيام والأزمان، تجلّى بذاته لذاته، وتميّز بجليل أسمآئه وشريف صفاته، ونصب على عرآئس الكائنات قواطع أدلة أحديته، ونظم في سلك امتناع تسلسل الموجودات براهين ألوهيته، وصلاةً وسلاماً على أول من انتشق من عبير ريّاه الوجود، وأكمل من أشرق عليه أنوار كواكب العلى وأقمار السعود، وأجلّ من نطق بكلمة التوحيد، وعقد خنصر قلبه على تقديس ربه المجيد، وعلى آله وأصحابه الذين شهدوا الحق بمشاهدة الحي عن ظهر الغيب، واعترفوا بربوبيته اعترافاً خالياً عن كل ريب. وبعد:

فيقول الفقير إلى الله تعالى القدير، أسير هواه النفسي، جمال الدين السيد محمود شكري بن السيد عبد الله بهاء الدين الحسيني الآلوسي غفر الله لهما، وعفا جل شأنه بمزيد فضله عنهما، إني قد علقت[1] شرحاً على دعاء الثناء في ما مضى من الزمان، وقع وله الحمد لدى الفضلآء المنصفين في حيّز الإستحسان، فأحببت أن أشفعه بشرح عبارة لم تشرح، وتوضيح كلام لم يوضح، فلم أر شيئاً تركته الأوائل ولا أهملوا، ويا لله تعالى دَرُّهم قولاً لقائل. غير أن كلمة الشهادة وإن لم يألوا جهداً في كشفها هي الحريّة بذلك، والمستحقة لما هنالك، لما اشتملت على مباحث لا تدرك إلا بنور التوفيق، وانطوت على دقائق لا تنالها غير يد التحقيق، فاستعنت بالله تعالى على هذا

(١) أي وضعت، ومنه التعليقة وجمعها التعليقات أي الشروح. أنظر: لسان العرب لابن منظور مادة (علق) وكذلك القاموس المحيط للفيروزبادي مادة (علق).

المراد، وتمسكت به جلّ شأنه في الهداية إلى طريق السداد، وسميته «كنز السعادة في شرح الشهادة»، راجياً منه جلّ شأنه أن يجعله سبباً للنجاة، وواسطة للفوز بعد الممات.

فأقول مستمداً من روحانية الرسول: إن الله تعالى أفاض مآء حياة الوجود من عين الكرم ومحض الجود، إذ هو مستغن عن العالم وما فيه، والكون وما يحويه، ثم ميّز من بين الأنواع نوع الإنسان، وخصّه بمزايا لا يسعها البيان، ثم أوجد منه ذريّة منقسمة إلى أقسام، ومفرّقة إلى فرق وأقوام[1]، فجعل منهم أنبيآء ورسلاً، ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، فبلّغ كل منهم وأمر، وبشرّ وأنذر، حتى آدت النوبة إلى الخاتم، ومن خُلِقَت لأجله العوالم، مكمِّل الكل في الكل، خلاصة الأنبياء والرسل، صلى الله تعالى عليه وسلم وشرف وعظم وكرم، فبذل مزيد الجهد في الإنذار، وصرف غاية الوسع في تمييز الليل من النهار، إذ هو المبعوث رحمةً للعالمين، ونعمة تامة للأولين وللآخرين.

فأول أمر كلّف به الأنام وطلبه من الخاص والعام، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. ولعمري أنها لكلمة يثقل بها الميزان، وتأخذ بيد قائلها إلى أعلى فراديس الجنان، ويحصل لمن تمسك بها النجاة والأمن من جميع الأهوال والآفات.

واعلم أنها وردت بروايات متعددة، وطرق مسدّدة، أصحّها رواية ما سبق لها البيان، وهي التي رويت عن أبي عبد الرحمن عبد الله ابن عمر[2] رضي الله تعالى عنهما في حديث الإيمان[3]، وكذا الرواية في تشهد ابن

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى: **﴿يآ أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾**. الحجرات: ١٣.

(٢) عبد الله بن عمر بن الخطاب (١٠ ق هـ - ٧٣ هـ / ٦١٣ م - ٦٩٢ م). صحابي جليل، ولد بمكة وهاجر إلى المدينة، شهد فتح مكة واعتزل الفتنة أيام علي. أفتى الناس وروى الكثير من أحاديث النبي ﷺ ومات بمكة. راجع عنه: الإصابة ت ٤٨٢٥/ وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٤٦/ طبقات ابن سعد جـ ٤ ص ١٠٥ - ١٣٨/ حلية الأولياء جـ ١ ص ٢٩٢/ صفة الصفوة جـ ١ ص ٢٢٨.

(٣) وهو الحديث الذي يرويه عبيد الله بن موسى قال: أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...» الحديث: أنظر: فتح الباري شرح =

مسعود[1]، وهي أعظم أركان الإيمان والإسلام على القول بتلازمهما مفهوماً كما ذهب إليه الأئمة الأعلام[2]. وقد جرى اختلاف كثير بني العلماء في ذلك[3]. ولا بأس أن نذكر في هذه الرسالة شيئاً مما هنالك.

بين الإسلام والإيمان

فقد قال بعضهم إنهما متغايران[4]، وفسّرَ الإيمان بالتصديق بما علم من

= صحيح البخاري، كتاب الإيمان جـ ١ ص ٤٩. أما بالنسبة للروايات المتعددة فيمكن الرجوع إليها في كتب الصحاح والسنن. فقد ذكرها البخاري في صحيحه كتاب الإيمان جـ ١ ص ١٢ ـ ١٤، ومسلم في الإيمان جـ ١ ص ٤٥، والترمذي في الإيمان جـ ٥ ص ٧، والنسائي في الإيمان جـ ٨ ص ١٠٧، وأحمد في مسنده جـ ٢ ص ٢٦، ٩٣ وجـ ٤ ص ٣٦٤. وكذلك أنظر لمزيد التفصيل في صيغ التشهد ما ذكره محمد ناصر الدين الألباني في كتابه: صفة صلاة النبي، منشورات المكتب الإسلامي الطبعة السادسة عام ١٣٩١ هـ، ص ١٦٧ ـ ١٧٧.

(١) ورد الحديث بصيغ متعددة. وقد ذكره بعض العلماء في سياق تلقين الشهادة للميت. راجع عنه: البخاري كتاب الجنائز جـ ٢ ص ١٩٠، وكتاب التوحيد جـ ٩ ص ٢٠٧، ومسلم في الإيمان جـ ١ ص ١٠٧ وجنائز جـ ٤ ص ٩٧، والنسائي في الصلاة جـ ١ ص ٣٣٧، ٣٦٠، والدارمي في الوصايا جـ ٢ ص ٤٠٤، وأحمد جـ ١ ص ٤٦١. ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن العلماء أحصوا ما يزيد عن تسعة تشهدات تتفاوت فيما بينها من حيث عدد الألفاظ. لذلك لم يتفق أئمة الفقه على تشهد واحد منها بل اختلفوا فيها، فاختار أبو حنيفة وأحمد تشهد ابن مسعود واختار مالك تشهد عمر بن الخطاب واختار الشافعي تشهد ابن عباس. لمزيد التفصيل حول هذا أنظر: المغني والشرح الكبير جـ ١ ص ٥٧٥، تقييد العلم للخطيب البغدادي ص ٩٣. كذلك انظر: محمود أبو رية: أضواء على السنة المحمدية ص ٥٥/٥٩.

(٢) أنظر مناقشة هذه المسألة في علم الكلام عند الباجوري في جوهرة التوحيد، ص ٢٧ وما بعدها، القاهرة، ١٣٥٢ هـ.

(٣) راجع عن اختلاف العلماء حول تلازم مفهوم الإيمان والإسلام ما ذكره السبكي في طبقات الشافعية جـ ١ ص ٣٦، ٤٣ ـ ٤٩. وكذلك ما ذكره الكمال ابن الهمام في المسامرة بشرح المسايرة ص ٢٨٥، ط. بولاق، القاهرة، ١٣١٧ هـ، والملل والنحل ص ١٥/١٧.

(٤) برزت هذه المشكلة في الفكر الإسلامي عندما فرق المتكلمون بين التصديق بالقلب ومدى علاقة هذا التصديق وموافقته لما يظهر على الجوارح من أعمال الشريعة وفعل الطاعة والعبادة. وهنا يمكن الرجوع إلى ما كتبه الأولون لتتضح الرؤية جلية. أنظر: الأشعري في المقالات ص ١٣٣، الجرجاني في التعريفات ص ٢٣، الرازي في المحصل ص ١٧٢ ـ ١٧٣، والأشعري في الإبانة ص ١١، الغزالي في الإحياء جـ ١ ص ١١٣/ القاهرة ١٣٥٣ هـ، والباجوري في الجوهرة ص ٢٦/٢٩ وكذلك ما ذكره ڤنسنك في كتابه العقيدة الإسلامية ص ١٣٢ ـ ١٣٥، والبغدادي في الفرق بين الفرق ص ٣٥١ ـ ٣٥٢، الشيخ زادة في نظم الفرائد ص ٣٧ وأحمد أمين في ظهر الإسلام ص ٩٢.

الدين ضرورة كالتوحيد والنبوة والبعث والجزاء. فما لوحظ إجمالاً كـالملائكـة والكتب والـرسل كفى الإيمـان به في المـوجه الإجمـالي. وما لـوحظ تفصيـلاً كجبريل والإنجيل اشترط الإيمان به في الوجه التفصيلي، وهذا هو الصحيح الـذي عليه السلف والأشـاعرة والمـاتريدية[1] ووافقهم على ذلك الصـالحيّ[2] وابن الراوندي[3] من لمعتزلة.

والمراد بالتصديق الأذعان لحكم المخبر وقبوله وجعله صادقاً بعد العلم بصـدقه والتكليف بـذلك، وإن كـان من الكيفيات النفسـانية تكليف بـأسبابـه كإلقاء الذهن وصرفه وتوجيه الحواس ورفع الموانع.

وهـل يزيـد وينقص أم لا، فيه خـلاف[4]، والأصح الأول، وهـو الـذي

---

(١) الماتريـدية فـرقة كـلامية تنسب في نشـأتها إلى محمـد بن محمد بن محمـود المعروف بـأبي منصور الماتريدي أي نسبة إلى بلدة ما تريد في سمرقند. وقد توفي عام ٣٣٣ هـ. وقد عاصر الأشعري وإن تباعدت بينهما المسافات. لكن الماتريدي بنى عقيدتـه أولاً على عقيدة ونهـج أبي حنيفة النعمان رضي الله عنه. ومع ذلـك نجد تقـارباً بين آراء المـاتريـدية والمعتـزلة في بعض القضايا الكلامية. للمزيد عن الماتريدية ومنهجهـا وآرائها يمكن الـرجوع إلى: أحمـد أمين في ظهـر الإسلام جـ ٤ ص ٩١/٩٢، ط. القـاهرة ١٣٨١ هـ، ابن عـذبة في الـروضـة البهيـة ص ٤ ط حيدر آبـاد في الهند ١٣٢٢ هـ، الكـوثـري في مقـدمـة إشـارات المـرام من عبارات الإمام للبياضي ص ٧ ط القاهرة ١٣٦٨ هـ الشيخ زادة في نظم الفرائد وجمع الفـوائد ص ٢٢ وما بعدها ط. القاهرة ١٣١٨ هـ.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) أحمـد بن يحيى بن إسحاق أبـو الحسين الراونـدي. ولـد بـراونـد ومـات ببغـداد صلبـاً عـام ٢٩٨ هـ/ ٩١٠ م. فيلسوف ملحد زنديق. من أئمة الإعتزال قبل اتهامه بـالكفر. ألف العـديد من المصنفات وله مناظرات مشهورة. راجـع عنه: الأعـلام حـ ١ ص ٢٦٧، وفيات الأعيـان جـ ١ ص ٢٧، البداية والنهاية جـ ١١ ص ١١٢.

(٤) اختلف العلماء في مسألة زيادة الإيمان ونقصانه وفرقـوا بيـن مـا إذا كان الإيمـان بمعنى العمل أم بمعنى التصديق القلبي. فيرى أبو حنيفة أن الإيمان لا يزيـد ولا ينقص لأنه أعلى درجـات الإدراك، فـإذا نقص صار تـردداً وشكاً ولا يكـون إيمانـاً. بينما يـرى الأشاعـرة العكس فهـو عنـدهم يزيـد وينقص. أما الإمـام الخطابي فيـرى أن التصديق يقبـل الـزيـادة فقط ولا يقبـل النقصان لأنه لو نقص لذهبت حقيقة الإيمان. أما الماتـريديـة فيتابـعون إمامهم أبـا حنيفة في رأيه. لمزيد من التفصيل في هذه المسألة، يمكن الرجوع إلى: الشيخ زادة في نـظم الفرائـد وجمـع الفـوائـد ص ٣٩، مـلاّ علي القـاري في شـرح الفقـه الأكبـر لأبي حنيفـة ص ٧٧، التفتـازاني في بحر الكـلام ص ٤٢ ـ ٤٣، فنسنك في العقيـدة الإسلاميـة ص ١٢٥ ـ ١٣١، الأشعري في الإبانة ص ١١ والباجـوري في الجوهـرة ص ٣٠ ـ ٣١، وابن حجر العسقـلاني في فتح الباري جـ ١ ص ٤٦ ـ ٤٨.

ذهب إليه السلف ومن تبعهم، وهو مبسوط في المطولات[1]، فلا تطلبه من مثل هذه الرسالة من المختصرات.

وفسَّر الإسلام بالنطق بالشهادتين، وطاعة الجوارح كالصلاة والزكاة وغير ذلك شرط لكمال الإيمان. والذي جرى عليه ابن السبكي[2] تبعاً لغيره أنه يطلق على الأعمال الظاهرة شرعاً[3].

وقال بعضهم أنهما مترادفان[4]، وجعل معنى قوله صلى الله تعالى عليه وسلم الإسلام «شهادة أن لا إلّه إلا الله» الحديث شعائر الإسلام[5]. واعترض على هذا بأن الأصل عدم التقدير.

على أنهم قالوا: إن الإيمان هو التصديق بالقلب[6]. ثم قالوا: الإيمان والإسلام شيء واحد، فيكون الإسلام هو التصديق، ولم يقله أحد من أهل اللغة وإنما هو الإستسلام والإنقياد[7].

---

(١) يعني بذلك كتب العقيدة المهمة في هذا الميدان وهي على سبيل المثال: الفرق بين الفرق للبغدادي، والملل والنحل للشهرستاني والإبانة في أصول الديانة للأشعري، والإحياء للغزالي والتبصير في الدين للإسفراييني والإقتصاد في الإعتقاد للغزالي والإرشاد للجويني وغير ذلك مما هو مدوَّن في هذه المسألة مما يطول ذكره لا سيما ما ذكره ابن حجر العسقلاني في فتح الباري عند كلامه عن الإيمان جـ ١ ص ٤٥ وما بعدها.

(٢) عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي. ولد في القاهرة عام ٧٢٧ هـ/ ١٣٢٧ م ومات بدمشق عام ٧٧١ هـ/ ١٣٧٠ م. مؤرخ وباحث. تولى القضاء وخاض في ميدان التصنيف. من أشهر كتبه: طبقات الشافعية الكبرى والاشباه والنظائر ومعيد النعم ومبيد النقم. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ١٨٤، جلاء العينين ص ١٦.

(٣) السبكي: طبقات الشافعية جـ ١ ص ٤٥ ـ ٥١.

(٤) يريد بذلك الماتريدية الذين قالوا إن الإسلام والإيمان شيء واحد وأنه لا تغاير بينهما. راجع طبقات الشافعية، المرجع المذكور، وابن عذبة في الروضة البهية ص ٨/ ٢٠.

(٥) أنظر التخريج السابق ذكره عن حديث الشهادة في قوله ﷺ: «بني الإسلام على خمس...».

(٦) ذهب إلى هذا الرأي بعض المسلمين كالشيعة «الذين يرون أن الإيمان هو المعرفة بالقلب فقط، وكذلك الجهم بن صفوان ومن تابعه. أنظر في ذلك: القاضي عبد الجبار في طبقات المعتزلة ص ٢٤١، والأشعري في المقالات جـ ١ ص ١٣٢، والبغدادي في الفرق ص ١٢٨، والشهرستاني في جـ ٢ ص ١١٥ والسبكي في الطبقات جـ ١ ص ٣٦ ـ ٤٣.

(٧) أنظر في تفصيل ذلك ما ذكره الكمال بن الهمام في المسامَرة بشرح المسايرة (مبحث الإيمان لغة وشرعاً) ص ٢٨٥ ـ ٣١٤.

والأظهر كما ذكره الوالد[1] عليه الرحمة في شرح التعطف على التعرّف[2] ما قاله بعض المحققين، واستصوبه الجمّ الغفير من الأساطين أن الإيمان والإسلام متلازما المفهوم، فلا يعتبر أحدهما دون الآخر، إذ لا ينفك أحدهما عن الآخر، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿**ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾[3]. فإن الإسلام يتناول العمل والإعتقاد معاً، إذ العامل الغير[4] المعتقد ليس بذي دين مرضي، ولا تصح أعماله بدون صحة الإعتقاد، وقوله تعالى: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه**﴾[5]. ولا يكون دين الإسلام مقبولاً إلا بانضمام التصديق. وبهذا التفصيل استدل الإمام المزني[6] وأبو الحسين البغوي[7] على تلازمهما، فلا يكون المسلم مسلماً إلا إذا كان مؤمناً، وكذلك

---

(١) هو عبد الله بهاء الدين بن محمود بن عبد الله الآلوسي. ولد عام ١٢٤٨ هـ/١٨٣٢ م وتوفي عام ١٢٩١ هـ/١٨٧٤ م. ففيه شافعي، له العديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ١٣٦، هدية العارفين جـ ١ ص ٤٩٠.

(٢) ذكره المترجمون تحت إسم: «التعطف على التعرف في الأصليين والتصوف». وهو مخطوط لم يطبع بعد، ويوجد في مكتبة الأوقاف العامة ببغداد، قسم الخزانة النعمانية الآلوسية.

(٣) سورة المائدة آية ٣.

(٤) هكذا وردت في المخطوط، والصواب: إذا العامل غير المعتقد، بحذف أل من كلمة غير كما تقضي بذلك كتب النحو. راجع مثلاً: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لإبن هشام الأنصاري جـ ١ ص ١٥٧/ ١٦٠، دار الكتاب العربي، بيروت. بدون تاريخ.

(٥) سورة آل عمران آية ٨٥.

(٦) إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل أبو إبراهيم المزني. ولد بمصر عام ١٧٥ هـ/ ٧٩١ م وتوفي عام ٢٦٤ هـ/٧٧٨ م. صاحب الإمام الشافعي. عالم زاهد ومجتهد. ألف العديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ١ ص ٣٢٩، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٧١.

(٧) لم أعثر على إسم (البغوي) بكنيته أبي الحسين. ولعله خطأ في النسخ. وأنما هو أبو الحسن البغوي علي بن عبد العزيز بن المرزبان. مات عام ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م. شيخ الحرم ومن حفاظ الحديث وله فيه مسند كبير ورسائل وكتب. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ٣٠٠، إرشاد الأريب ص ٢٥٩، ميزان الإعتدال جـ ٢ ص ٢٣٢. لكن وبالرجوع إلى ما ذكره ابن حجر العسقلاني في (فتح الباري شرح صحيح البخاري) في الجزء الأول ص ١١٥، وفيه: (وبهذا استدل المزني وأبو محمد البغوي). فيكون البغوي هذا أيضاً غير ما ذكرناه وهو الحسين بن مسعود بن محمد المعروف بالفراء. ولد عام ٤٣٦ هـ/١٠٤٤ م وتوفي عام ٥١٠ هـ/١١١٧ م في مرو الروذ. لقب بمحيي السنة. فقيه، محدث ومفسر. له العديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٢ ص ٢٥٩، وفيات الأعيان جـ ١ص ١٤٥، تهذيب ابن عساكر جـ ٤ ص ٣٤٥، دائرة المعارف الإسلامية جـ ٤ ص ٢٧.

لا يكون المؤمن مؤمناً مقبولاً حتى يكون مسلماً. وقد ينفك الإسلام عن الإيمان إذا أريد به الأعمال الظاهرة[1].

وبما تحقق يهون تقرير الأحاديث التي وردت في بيان الإيمان والإسلام، منها ما هو في حديث جبريل الذي رواه الشيخان فأجابه عن الإيمان بمتعلّقاته من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشرّه، وعن الإسلام بالأعمال الظاهرة من النطق بالشهادتين والصلاة والزكاة وصيام رمضان والحج[2]. وعكس صلى الله تعالى عليه وسلم في الجواب في حديث وفد عبد القيس الذي رواه الشيخان، فأجاب عن الإيمان بالأعمال الظاهرة المذكورة، إلا أنه جعل بدل الحج اعطاء الخمس من الغنيمة[3]. وغير ذلك من الأحاديث التي اجتمع فيها ذكر الإيمان والإسلام معاً أو ذكر أحدهما فقط. فإذا لاحظت المعنيين وتحققت الإطلاقين حصل عندك الجمع بينهما، وكذلك الآيات كقوله تعالى: **﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾**[4]، وقوله عز من قائل: **﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾**[5] إلى غير ذلك من الآيات التي ورد فيها الإيمان مقروناً بالإسلام أو مفروقاً عنه. فحيث ورد ما يدلّ على تغايرهما باقترانهما فهو باعتبار أن المراد بالإسلام الأعمال الظاهرة، وحيث ورد ما يدل على اتحادهما بانفراد أحدهما فهو باعتبار تلازم المفهومين على ما حقق، أو ترادفهما على ما قيل.

---

(١) راجع في تفصيلات هذه المسألة وآراء العلماء فيها ما ذكره العلامة ابن حجر في فتح الباري جـ ١ ص ١١٥.

(٢) ورد حديث جبريل في كتب الصحاح والسنن وكذلك ذكر في الأربعين النووية، وهو حديث طويل، وفيه: «بينا نحن جلوس عند رسول الله إذ دخل علينا رجل أشعث أغبر...». قال العلماء: إنه حديث حسن صحيح. وقد أورد ابن حجر في فتح الباري، كتاب الإيمان، كل تخريجاته فليرجع إليه جـ ١ ص ١١٥.

(٣) حديث وفد عبد القيس حديث طويل ورد بصيغ متعددة وروايات كثيرة. وقد أخرجه الشيخان ومن استخرج عليهما والنسائي وابن خزيمة وابن حبان من طريق رواية أبي جمرة. بينما يذكره أحمد بن حنبل في مسنده من طريق رواية أبان العطار عن قتادة. ذكر كل هذه الوجوه وعلّق عليها ابن حجر في فتح الباري، كتاب الإيمان جـ ١ ص ١٢٩ ـ ١٣٥.

(٤) سورة الذاريات آية ٣٥ ـ ٣٦.

(٥) سورة الحجرات آية ١٤.

وإطلاق الإيمان في حديث وفد عبد القيس على الأعمال باعتبار أنها متعلّق مفهوميهما المتلازمين، وهما التصديق والإنقياد. وأما حديث جبريل المذكور فيه الإيمان والإسلام معاً، فالمراد بالإسلام فيه الأعمال الظاهرة فقط المقرونة بالإيمان المفسَّر معه بذكر متعلقاته. والآيات المذكورة جارية على هذا الأسلوب من أن المراد بالإسلام فيها الأعمال الظاهرة باقترانه مع الإيمان، ويؤيده ما ورد عن ابن عباس[١] رضي الله تعالى عنهما وغيره في تفسير الآية أنهم لم يكونوا منافقين بل كان إسلامهم ضعيفاً، ويدل عليه قوله تعالى في آخر الآية: ﴿**وإن تطيعوا الله ورسوله لا يلتكم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم**﴾[٢]، الدالّ على أن معهم من الإيمان ما تقبل معه أعمالهم، وحينئذ يؤخذ منه أنه يجوز نفي الإيمان عن ناقصه[٣]، وعليه حملت الأحاديث الواردة بمثل ذلك كقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»[٤]. وللآية محامل لا يسعها المقام[٥]، ولكن نذكر ما قاله العلامة ابن القيم[٦] في رسالة له في بيان الهجرتين إلى الله ورسوله[٧] عند قوله تعالى: ﴿**فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من**

---

(١) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. ولد بمكة عام ٣ ق. هـ/٦١٩ م وتوفي بالطائف عام ٦٨ هـ/٦٨٧ م. ابن عم النبي، لقب بترجمان القرآن. صحابي جليل لازم النبي وروى عنه حتى سمي حبر الأمة. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ٩٥، الإصابة ت ٤٧٧٢، حلية الأولياء جـ ١ ص ٣١٤، صفة الصفوة جـ ١ ص ٣١٤.

(٢) سورة الحجرات آية ١٤.

(٣) راجع حول هذه المسألة ما أورده الكمال بن الهمام في المسامرة بشرح المسايرة، ص ٣٢٥ ـ ٣٣٨.

(٤) أخرجه ابن ماجة في مسنده في باب الفتن.

(٥) حول تفسير الآية ١٤ من سورة الحجرات ومعرفة ما ورد فيها من محامل القول، يمكن الرجوع إلى تفسير الطبري، تفسير ابن كثير والتفسير الكبير للرازي.

(٦) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي. ولد بدمشق عام ٦٩١ هـ/١٢٩٢ م وفيها مات عام ٧٥١ هـ/١٣٥٠ م. يعتبر من أركان الإصلاح الإسلامي ومن أكابر العلماء. لازم ابن تيمية وسجن معه في قلعة دمشق، وكانت له مواقف مشهودة مما جعل الناس يحبونه ويتعلقون به، له الكثير من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ٥٦، الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٤٠٠، بغية الوعاة ص ٢٥، البداية والنهاية جـ ١٤ ص ٢٣٤، النجوم الزاهرة جـ ١ ص ٢٤٩، شذرات الذهب جـ ٦ ص ١٦٨ وغيرها.

(٧) ورد الكتاب كما ذكرته كتب التراجم تحت إسم: طريق الهجرتين وباب السعادتين. وقد طبع لأول مرة في المطبعة المنيرية بالقاهرة عام ١٣٥٧ هـ.

المسلمين﴾، قال: فرَّق بين الإيمان والإسلام لسرّ اقتضاه الكلامان. فإن الإخراج هنا عبارة عن النجاة فهو إخراج نجاة من العذاب، ولا ريب أن هذا مختص بالمؤمنين المتبعين للرسل ظاهراً وباطناً. وقوله: «فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين»، لمّا كان للموجودين من المخرجين أوقع إسم الإسلام عليهم لأن امرأة لوط كانت من أهل هذا البيت وهي مسلمة في الظاهر، فكانت في البيت الموجودين لا في البيت الناجين. ثم قال: وبهذا خُرِّج الجواب عن السؤال المشهور وهو أن الإسلام أعم من الإيمان، فكيف استثنى الأعم من الأخص وقاعدة الإستثناء تقتضي العكس وتبيَّن أن المسلمين مستثنون مما وقع عليه فعل الوجود، والمؤمنين غير مستثنى منهم بل هم المخرجون الناجون[1]؟

وإنما أطنبنا الكلام في هذا المقام لأنه من مزالق الأقدام. ولنبدأ بشرح الألفاظ وبيان ما فيها من الدقائق والأغماض[2].

معنى الشهادة ودلالتها

فالشهادة مصدر شَهِدَ بفتح الفآء وكسر العين[3]، وهي أفصح اللغات الباقية أعني بالفتح مع السكون وكسرهما، والكسر مع السكون[4]. وهي إن كانت بصرية فمتعدية بنفسها، وإلا فتتعدَّى بالباء أو على معناها لغة الإحضار والقضآء والحكم والحلف والعلم والإيصآء. وهي بكل من هذه المعاني قد استعملت في الكتاب العزيز[5]. وبحمل الشهادة الأولى على الإحضار والثانية على العلم المشاهد والثالثة على الحلف يندفع الإشكال والنسخ في الآية

(١) راجع عن ذلك في: طريق الهجرتين لابن القيم ص ٣٢٨ ـ ٣٣٢.

(٢) هنا يبدأ المؤلف بعرض المعاني اللغوية لكلمة الشهادة واشتقاقاتها ودلالاتها لا سيما في علمي النحو والصرف كما وردت في اللهجات العربية وكما فهمها واستخدمها علماء اللغة.

(٣) إشارة إلى الميزان الصرفي إي (فَعَل). فحرف الشين من (شهد) يقابل الفاء في الميزان ويقال له: فاء الكلمة، وحرف الهاء يقابل العين في الميزان ويقال له: عين الكلمة وحرف الدال يقابل اللام في الميزان ويقال له: لام الكلمة، وهكذا تقاس الكلمات العربية وتعرض على الميزان الصرفي.

(٤) حول اشتقاقات كلمة (الشهادة) أنظر في ذلك ما ذكره ابن منظور في لسان العرب، مادة (شهد) وكذلك ما فعله الفيروزابادي في القاموس المحيط مادة (شهد).

(٥) راجع حول كل هذه المعاني ما ذكره الإمام الشافعي رحمه الله في كتاب: أحكام القرآن، جمع الإمام البيهقي، طبعة دار القلم، بيروت، بدون تاريخ، الجزء الثاني ص ١٣٢/١٣٩.

التي هي أشكل ما في القرآن حكماً وإعراباً ونظماً[1]، والمراد بها ههنا أحد المعاني المذكورة سوى الإحضار. لكن المشهور من هذه العبارة الإقرار والإعتراف. وشرعاً إخبار عن عيان بلفظ الشهادة في مجلس القاضي بحق للغير على آخر. وبهذا عرفت الفرق بينهما وبين قسيميها أعني الدعوى والإقرار، فإن الأول هو الإخبار بحقّ للمخبر على آخر، والثاني بالعكس، كذا ذكره سيد المحققين[2].

هذا ويشترط في الشهادة المواطأة للقلب وان تكون على وفق الإعتقاد. وما في المطول[3] من منع اشتراط موافقة الإعتقاد في مطلق الشهادة غير مسلم كما في حواشيه. قال القاضي في تفسيره الشهادة إخبار عن علم من الشهود وهو الحضور والإطلاع، فعلى هذا لا يرد ما أورده السعد على من قال إن معنى قوله تعالى: ﴿والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾[4]، أي في الشهادة وادعائهم فيها المواطأة، فالتكذيب راجع إلى قولهم نشهد باعتبار تضمنه خبراً كاذباً وهو إن شهادتنا من صميم القلب وخلوص الإعتقاد بشهادة أن واللام والجملة الإسمية. وإطلاق الشهادة على شهادة الزور مجاز فلا يصح الإستدلال بها[5].

وأشهد إنشاء يتضمن إخباراً بالمشهود به نظراً إلى اللفظ لوجود مضمونه به وإلى متعلق. وقيل محض إخبار نظراً إلى متعلق فقط، وهو ظاهر كلام

---

(١) لعل الإشارة هنا إلى الآية رقم ١٠٦ من سورة المائدة، وهي قوله تعالى: ﴿يآ أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مُصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنّا إذاً لمن الآثمين﴾.

(٢) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني سعد الدين، ولد بتفتازان عام ٧١٢ هـ/١٣١٢ م، وتوفي في سمرقند عام ٧٩٣ هـ/ ١٣٩٠. من أئمة اللغة والبيان والمنطق. له العديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٧ ص ٢١٩، بغية الدعاة ص ٣٩١، مفتاح السعادة جـ ١ ص ١٦٥، الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٥٠.

(٣) كتاب المطول على التخليص للعلامة سيد المحققين السعد التفتازاني، طبع لأول مرة في الأستانة طباعة حجرية بالمطبعة العامرية وذلك سنة ١٢٦٠ هـ.

(٤) سورة المنافقون آية ١.

(٥) راجع حول هذه المسألة ما ذكره ابن تيمية في كتاب الفتاوى الكبرى، من منشورات دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٨، مبحث الشهادات جـ ٤؛ ص ٦٤٠ - ٦٤٦.

اللغويين. قال ابن فارس[1] في الجمل[2]: الشهادة إخبار عن علم وقد سبق ورود ذلك عن القاضي أيضاً. وقال الإمام فخر الدين الرازي[3] في تفسير قوله تعالى: ﴿**وما شهدنا إلا بما علمنا**﴾[4]، إن فيه دلالة على أن الشهادة مغايرة للعلم. قال: وليست الشهادة عبارة عن قوله أشهد، لأن أشهد إخبار عن الشهادة، والإخبار عن الشهادة غير الشهادة، بل الشهادة عبارة عن الحكم الذهني وهو الذي يسميه المتكلمون الكلام النفسي[5].

وقيل محض إنشاء نظراً إلى اللفظ فقط، وإليه مال القرافي[6] لأنه لا يدخله تكذيب شرعاً. وأما قوله تعالى: ﴿**والله يشهد إن المنافقين لكاذبون**﴾،

---

(١) هو أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي. ولد بقزوين عام ٣٢٩ هـ/٩٤١، وتوفي بالريّ عام ٣٩٥ هـ/١٠٠٤ م. من أئمة اللغة والأدب، وضع الكثير من التصانيف في علوم العربية. راجع عنه: الأعلام جـ١ ص ١٩٣، وفيات الأعيان جـ١ ص ٣٥، آداب اللغة جـ٢ ص ٣٠٩.

(٢) هكذا ورد في الأصل. ولعله كتاب المجمل وليس الجمل وهو مخطوط كما أشارت إليه كتب التراجم. ويذكر الزركلي في ترجمته لابن فارس أن كتاب المجمل طبع منه جزء صغير فقط، أنظر: الأعلام جـ١ ص ١٩٣. طبع المجمل بعد ذلك كامل وهو كتاب نفيس

(٣) هو الإمام الكبير محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري، فخر الدين الرازي. ولد في الريّ عام ٥٤٤ هـ/١٠٥٠ م وتوفي بهراة عام ٦٠٦هـ/١٢١٠ م. من كبار العلماء في المعقول والمنقول، وضع العديد من الكتب وذاع صيته حتى رحل إليه الناس. راجع عنه: الأعلام جـ٦ ص ٣١٣، طبقات الأطباء جـ٢ ص ٢٣، وفيات الأعيان جـ١ ص ٤٧٤، مفتاح السعادة جـ١ ص ٤٤٥، آداب اللغة جـ٣ص ٩٤، البداية والنهاية جـ١٣ ص ٥٥ وغيرها.

(٤) سورة يوسف آية ٨١.

(٥) أنظر: التفسير الكبير المسمى مفاتيح الغيب للإمام الفخر الرازي في تفسيره للآية المذكورة. وإطلاق الكلام النفسي عند المتكلمين يراد به أحد معنيين: فهو إما المعنى المصدري أي تحضير الإنسان في نفسه بقوته المتكلمة الباطنة للكلمات التي لم تبرز للجوارح، فيتكلم بكلمات متخيلة يرتبها في الذهن بحيث إذا تلفظ بها بصوت حسّي كانت طبق كلماته اللفظية. وإما المعنى الحاصل بالمصدر أي تلك الكلمات النفسية والألفاظ الذهنية المترتبة ترتباً ذهنياً منطبقاً عليه الترتب الخارجي.

(٦) هو الإمام أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن شهاب الدين الصنهاجي القرافي. ولد بالقاهرة (القرافة) وفيها مات عام ٦٨٤ هـ/١٢٨٥ م. من كبار علماء المالكية، له كتب عدة في الفقه والأصول وقواعد اللغة العربية. راجع عنه: الأعلام جـ١ ص ٩٥، الديباج المذهب ص ٦٢ - ٦٧، التصوير عند العرب ص ٧٩.

فعائد إلى تسميتهم ذلك شهادة، لأن الإخبار إذا خلا من مواطأة القلب اللسان لم يكن ذلك حقيقة. وليس ما نقل من المذاهب الثلاثة خلافاً محققاً، بل كل قآئل بمذهب نظر إلى ما لم ينظر إليه صاحباه، ولو نظر كلّ منهم إلى ما نظر إليه كل من الأخيرين لوافقه.

واختلف في قول المُلاَعِن: أشهد بالله: هل هو يمين مؤكد بلفظ الشهادة أو يمين فيها ثبوت شهادة والأول أصح(1).

هذا وقد استشكل بعضهم في خبرية أشهد ونحوها، فلم يجعل المتعلق من تتمة الخبر، وفي إنشائيتها فجعله من تتمته. ولا بد من بيان يتضح به المقصود ويزول به إن شاء(2) الله تعالى الجحود.

فأقول: لا وجه للتردد في كل من الوجهين. أما في كونها خبرية فظاهر مما سبق، وأمّا في كونها إنشآئية فلأنه لا يلزم من كونها إنشآئية المتعلق وكونه من تتمتها جزئيته لها بل هو متعلّق خارج عن حقيقتها وقيد فيها، وإن توقف مضمون الخبر المطلوب شرعاً عليه لأن ذلك التوقف لا يقتضي الجزئية كالتوقف على الحال وغيره. وأيضاً المتصف بالخبرية

---

(1) اختلف الفقهاء في اللعان هل هو يمين أم شهادة على مذهبين: مذهب الأحناف أن اللعان يعتبر شهادة فيأخذ أحكامها لذلك فألفاظ اللعان شهادات مؤكدات بالأيمان. ومذهب الجمهور (الشافعية، المالكية والحنابلة) يعتبرون أن اللعان يمين وليس بشهادة فيأخذ حكم اليمين. وعلى ذلك فألفاظ اللعان أيمان مؤكدة بالشهادة وردت بهذه الصيغة للتغليظ. ومن هنا نرى فحوى الخلاف بين المذاهب من حيث تغليب جانب علي آخر. أنظر في ذلك: محمد على الصابوني: روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن، جـ ٢، ص ٨٥ ـ ٨٦، الفقة على المذاهب الأربعة جـ ٥ ص ١٠٦ ـ ١٢١. لكن بعض العلماء ينتصر لهذا المذهب أو ذاك. فمثلاً يقول ابن العربي: والفصل في أنها يمين لا شهادة أن الزوج يحلف لنفسه في إثبات دعواه وتخليصه من العذاب وكيف يجوز لأحد أن يدعي في الشريعة أن شاهداً يشهد لنفسه بما يوجب حكماً على غيره، هذا بعيد في الأصل معدوم في النظر. أنظر: أحكام القرآن لابن العربي جـ ٣ ص ٣٣٢: أما ابن القيم فيقول: والصحيح أن اللعان يجمع الوصفين: اليمين والشهادة. فهو شهادة مؤكدة بالقسم. والتكرار لإقتضاء الحال تأكيد الأمر، ولهذا اعتبر فيه من التأكيد عشرة أنواع... ثم سرد تلك الأنواع. أنظر: فقه السنة لابن القيم جـ ٨ ص ١٦٨. وكذلك. تفسير القرطبي جـ ١٢ ص ١٨٧، وزاد المسير لابن الجوزي جـ ٥ ص ١٤.

(2) وردت في الأصل المخطوط: إنشاء. والصحيح ما أثبتناه نظراً لما تقتضيه قواعد اللغة.

والإنشائية إنما هو الكلام وهو ما تضمن كلمتين بالإسناد لا المتعلقات. نعم إذا أثر المتعلق في مضمون الجملة الخبرية وهو النسبة كما في قولنا متى خرجت، فإن خرجت في الأصل يحتمل الصدق والكذب، فلمّا دخلت عليه كلمة متى أثرت في مضمونه، وصيّر الجملة إنشآئية، وما هنا ليس كذلك. ونظيره قولهم جملة جواب القسم خبرية وجملة القسم إنشآئية مؤكدة للجواب لم تخرجه عن الخبرية ويؤيده ما في التلخيص في بحث تقييد المسند بالشرط أن الجملة الشرطية تابعة للجزآء لأن الشرط قيد لحكم الجزآء[1].

ومما يوضح ما قلناه من صحة الأمرين قول ابن الحاجب[2] في أمالي المسائل المتفرقة أن قولك كم رجل عندي يحتمل الإنشآء والإخبار. أما الإنشآء فمن جهة التكثير لأن المتكلم عبَّر عما في باطنه من التكثير بقوله كم رجل عندي. والتكثير معنى يتحقق في النفس لا وجود له في الخارج حتى يقال باعتباره إن طابت فصدق وإن لم يطابق فكذب. وأما الإخبار فباعتبار العنديّة، فإن كونهم عنده له وجود في الخارج، انتهى ملخصاً[3]. وقد عرفت مما تقرر الفرق بين الخبر والإنشآء ضمناً، وإن أردت صريحه فراجع كتب المعاني والأصول فإنك تنل المقصود والمأمول.

«وإن» هذه هي المخففة من الثقيلة وليست بمصدرية لأنها للرجاء والطمع فلا تناسب الشهادة المفيدة للتحقق مع وجود حرف التعويض، واسمها ضمير الشأن واجب الحذف. والسبب في ذلك أن مشابهة المفتوحة

---

(١) أنظر ما ذكره في هذه المسألة السعد التفتازاني في: المطول على التلخيص ص ١٤٦.

(٢) هو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس جمال الدين بن الحاجب ولد في أسنا من صعيد مصر عام ٥٧٠ هـ/١١٧٤ م وتوفي بالإسكندرية عام ٦٤٦ هـ/١٢٤٩ م. من فقهاء المالكية ومن كبار علماء العربية. تنقل بين القاهرة ودمشق ووضع العديد من التصانيف. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ٢١١، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣١٤، غاية النهاية جـ ١ ص ٥٠٨.

(٣) لم أعثر على كتاب الأمالي النحوية لابن الحاجب وهو كما تذكر كتب التراجم مخطوط لم يطبع بعد. ولكن لمزيد من التفصيل حول هذه المسألة يمكن الرجوع إلى ما ذكره ابن الحاجب أيضاً في: الكافية في النحو جـ ٢ ص ٩٦ دار الكتب العلمية ببيروت، وكذلك ما ذكره ابن الأنباري في كتابه: الإنصاف في مسائل الخلاف جـ ١ ص ٢٩٨ المسألة الأربعون وكذلك ص ٢١٦ في المسألة الخامسة والعشرين، وشرح الأشموني على حاشية الصبان جـ ٤ ص ٧٠، وكتاب مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام الأنصاري جـ ١ ص ١٨٣/١٨٥، وشرح ابن عقيل جـ ٢ ص ٤١٣ - ٤٢٢.

للفعل أكثر من مشابهة المكسورة له، وذلك ظاهر. وإعمال المكسورة بعد تخفيفها واقع في سعة الكلام، ويلزم منه بحسب الظاهر ترجيح الأضعف على الأقوى، وذلك غير جائز، فقدروا ضمير الشأن حتى يكون إسماً للمفتوحة بعد تخفيفها، والجملة المفسرة لضمير الشأن خبراً لها، فتكون عاملة في المبتدأ والخبر كما كانت في الأصل، فهي لا تزال عاملة بخلاف المكسورة. والعمل في الظاهر وإن كان أقوى من العمل في المقدر، لكن دوام العمل فيه يقاوم العمل في الظاهر في وقت دون وقت، فلا يلزم ترجيح الأضعف على الأقوى، ويلزمها مع الفعل المتصرف غير الدعاء السين أو سوف أوقد للفرق بينها وبين المصدرية، وليكون كالعوض من النون المحذوفة وحرف النفي. وليس هذا إلا ليكون كالعوض من النون المحذوفة، فإنه لا يحصل بمجرد الفرق بين المخففة والمصدرية، فإنه يجتمع مع كل منهما. فالفارق ما بينهما: إما من حيث المعنى فهو إن قصد به الإستقبال فالمصدرية وإلا فالمخففة، وإما من حيث اللفظ وهو إن كان الفعل المنفي منصوباً فالمصدرية، وإلا فالمخففة وهي موضوعة لتأكيد الكلام المنكر إذا الإبتدائي وهو الذي يلقي لخالي الذهن يجب تجريده عن المؤكدات، والطلبي وهو الذي يلقي للمتردد يستحسن تقويته بمؤكد، والإنكاري يجب توكيده بحسب الإنكار[1]، وقدره أي زائداً على قدر ما للسائل المتردد بالغاً ما بلغ على حذو الإنكار، لأنه إذا تعارض التأكيد والإنكار تساقطا فبقي أصل الخبر مفيداً، فلا يشترط كون التأكيد زائداً على قدر الإنكار.

والدليل على تفاوت الإنكار جواب أبي العباس المبرد[2] لأبي إسحاق الفلسفي الكندي[3] حين سأله قائلاً: إني أجد في كلام العرب حشواً،

---

(١) حول مسألة الخبر وأضربه وصلته بالمخاطبين وهو ما يدخل في علم المعاني، أنظر ما كتبه عبد الحكيم نعناع في: المنار في علوم البلاغة، ص ٤٥٠ وما بعدها.

(٢) هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي المعروف بالمبرد. ولد بالبصرة عام ٢١٠ هـ/٨٢٦ م وتوفي ببغداد عام ٢٨٦ هـ/٨٩٩ م. كان إمام العربية في زمنه. وله العديد من الكتب. راجع عنه: الأعلام جـ٧ ص ١٤٤، وفيات الأعيان جـ١ ص ٤٨٤، تذكرة الحفاظ جـ٢ ص ١٨٩، تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٥٣٠.

(٣) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي. ولد بالبصرة ومات ببغداد نحو عام ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م. أول فيلسوف في الإسلام. اشتهر بعلوم الطب والفلك والهندسة والموسيقى والفلسفة، ووضع العديد من المصنفات حتى ذاع صيته. راجع عنه: الأعلام =

يقولون: عبد الله قائم. ثم يقولون: إن عبد الله قائم. ثم يقولون: إن عبد الله لقائم، والمعنى واحد. وذلك أنه قال: المعاني مختلفة، فقولهم الأول إخبار عن قيامه، والثاني جواب عن سؤال سائل، والثالث جواب عن إنكار منكر قيامه. وقوله تعالى حكاية عن رسل عيسى عليه السلام وهم بولس ويحيى وشمعون وهو الثالث الذي عززهما بعد تكذيبهما لما كذبوا في المرة الأولى: ﴿إنا إليكم مرسلون﴾[1] وفي الثانية ﴿ربنا يعلم أنا إليكم لمرسلون﴾[2] مؤكداً بالقسم، وإن واللام وإسمية الجملة لمبالغة المخاطبين في الإنكار حيث قالوا: ﴿ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون﴾[3]، والخطاب يتناول الرسل والمرسل معاً على طريق تغليب المخاطبين على الغائب، فيكون نفي الرساله عنهم تغليباً له عليهم كأنهم أحضروا عيسى عليه السلام وخاطبوه بنفي رسالته من الله تعالى، فلا يشكل بأن البشرية إنما تنافي بزعمهم الرسالة من عند الله لا من عند عيسى عليه السلام.

والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم لما أمرهم بالشهادة وأخبرهم أن الله وحده لا شريك له وأنه رسول الله، فمنهم من كان منكراً لذلك ومنهم في ليس بمنكر، ومنهم من كان خالي الذهن، غلّب المنكرين على غيرهم لأنهم في غاية القلة بالنسبة إليهم بناءً على الظن، لأن المخاطِب غير عالم بما في القلوب فأكده أولاً بالشهادة المفيدة لعلم مدخولها وتيقنه وكونه واقعاً البتة بناءً على إفادتها الحلف كما سبق. وثانياً بأن الموضوعة للتأكيد. وثالثاً الإبهام الحاصل من ضمير الشأن المستتر في أنّ ثم التفسير بما بعده ليتمكن في ذهن السامع ما يعقبه، لأنه إذا لم يفهم منه معنى انتظر ما يعقبه ليفهم منه معنى لما جبل الله عليه النفوس من التشوق إلى معرفة ما قصد إبهامه، فيتمكن المسموع بعده في الذهن فضل تمكن، لأن ما يحصل بعد مقاساة التعب ومعاناة الطلب، له محل في القلب لا يكون لما يحصل بسهولة، لأن في

= جـ ٨ ص ١٩٥، طبقات الأطباء جـ ١ ص ٢٠٦، تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي ص ٤١، أخبار الحكماء ص ٢٤٠ - ٢٤٧، لسان الميزان جـ ٦ ص ٣٠٥، آداب اللغة جـ ٢ ص ٢١٢، وغير ذلك من كنوز الكتب

(١) سورة يٓس آية ١٤.
(٢) سورة يٓس آية ١٦.
(٣) سورة يٓس آية ١٥.

الأول أمرين: لذة العلم ودفع لألم الشوق بخلاف الثاني، ولا يخفى أن اللذة المشتملة على دفع الألم أحلى من اللذة الموجودة بدونه.

ولهذا اشترط أن يكون مضمون الجملة شيئاً عظيماً يعتني به كما في هذا المقام، هذا إذا قلنا بجريان نكتة ضمير الشأن في المستتر أيضاً كما هو الحق، على أن شيخنا المحقق الشيخ بهاء الحق الهندي[1] أفاد أن الحذف موجب لتأكيد آخر، لأن فيه عدولاً إلى أقوى الدليلين من الفعل واللفظ، فكما يزداد الإبهام يزداد الشوق إلى تحصيله، فيدل على التفخيم الأفخم، والتعظيم الأعظم. وكأنه أدامه الله تعالى قاس ذلك على حذف المسند إليه كما في قوله:

قال لي كيف أنت قلت عليل سهر دائم وحزن طويل

حيث عُلل بمثل ما عللوا به ذلك. ولا يرد ما أورده بعضهم من أنه لما حذف لم يبق انتظار لأن ذلك حيث لا قرينة على المحذوف، وههنا القرينة عليه أن المخففة كما لا يخفي.

ورابعاً: النفي والإثبات المفيد للقصر المفيد للتأكيد على التأكيد، لما في المطول عن علي بن عيسى الربعي[2] أن القصر ليس إلا تأكيداً للحكم على التأكيد، وذلك لأن نحو قولك: زيد جاءني لا عمرو لمن يردد المجيء بينهما يفيد إثبات المجيء لزيد صريحاً في قولك: زيد جاء، وضمناً في قولك: لا عمرو، لأن نفس المجيء لما كان مسلَّم الثبوت لأحدهما، فإذا نفيته عن عمرو ثبت لزيد ضمناً ضرورة. والإثبات الضمني تأكيد لما تقرر أن الكناية أبلغ من التصريح[3]. وههنا أسئلة وأجوبة لا يسعها مثل هذا المقام

---

(1) هو عمر بن إسحاق بن أحمد الغزنوي الهندي. ولد عام ٧٠٤ هـ/١٣٠٤ م وتوفي عام ٧٧٣ هـ/١٣٧٢ م. من كبار فقهاء الأحناف، له العديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٥ ص ٤٢، كشف الظنون ص ١١٩٨، الفوائد البهية ص ١٤٨، الدرر الكامنة جـ ٣ ص ١٥٤ ومفتاح السعادة جـ ٢ ص ٥٨.

(2) هو علي بن عيسى بن الفرج بن صالح الربعي. ولد بشيراز عام ٣٢٨ هـ/٩٥ م وتوفي ببغداد عام ٤٢٠ هـ/١٠٢٩ م. عالم بالعربية. له عدة تصانيف. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ٣١٨، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٤٣، إرشاد الأريب جـ ٥ ص ٢٨٣، إنباه الرواة جـ ٢ ص ٢٩٧.

(3) حول أساليب الكناية والتصريح راجع ما كتبه الدكتور عبد العزيز عتيق في: علم البيان =

فارجع إلى المطول وحواشيه في باب القصر[1].

وخامساً: إسمية الجملة إذ هي لإفادتها الدوام والإستمرار تفيد التأكيد، ولا يشترط أن تكون معدولة عن الفعلية. والشهادة الثانية على تأكيدات ثلاث فقط، تعلم مما ذكرناه في الأولى.

وإنما كان تأكيد الشهادة الأولى أكثر من تأكيد الثانية وزائداً عليه لما أفاده شيخنا المحقق من أنَ الله عز وجلّ لما كان باطناً لا تدركه الأبصار مع ظهوره تحيرت العقول في معرفته، فمنهم من نفاه ومنهم من أثبته. والمثبتون تفرقوا شتّى، فمنهم من اتخذ مع الله آلهاً آخر، ومنهم من أثبت له الصاحب والولد ومنهم ومنهم إلى ما لا يسعه المقام، إلا الموحدون وقليل ما هم. قال تعالى: **﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾**[2]. وأما الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فمشاهد بالبصر مدرك بالعقل بواسطة المعجزات الباهرة والآيات الزاهرة المستمرة إلى ساعة القيام، لا تنكر إلا عناداً صرفاً خالياً عن الشك والريب والأوهام، لوقوع العلم القطعي الضروري عند مشاهدة المعجزة بصدقه في دعواه. قال الله تعالى: **﴿يعرفونه كما يعرفون أبناءهم﴾**[3]. فلهذا لم تؤكد الثانية بما أكدت به الأولى ليعلم أنه لا يمكن لأحد أن ينكره إنكاراً شديداً بحيث لا يزول عنه إنكاره، أو لأن الرسول واسطة بين الخلق والحق ليعرفهم به جل شأنه. والمقصود الأصلي معرفته عزَّ وجلَّ، ففرَّق بين الشهادتين في التأكيد للفرق بين المقصودين، أو لأن الرسول يخبر أولاً عن نفسه برسالته، والمخبر عن نفسه لأبناء جنسه لا يؤكد شأنه غاية التأكيد، بل يهمل ويغمض عن بعض الشأن ليكون ذلك من باب إرخاء العنان، لينصف السامع من نفسه ويتفكر في أمره ولا ينسب إليه الإلحاح والتعصب، إنتهى ما قال.

وفي تأكيد الشهادتين بما أكدّتا به إشارة إلى مزيد غفلة المخاطبين وشدة إعراضهم حتى نزلهم منزلة الواصلين إلى أقصى مراتب الإنكار، وجرى

= (سلسلة في البلاغة العربية)، دار النهضة العربية بيروت، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥ م، ص ١٧٦ وما بعدها.

(١) راجع في ذلك ما ذكره التفتازاني في المطول على التلخيص ص ١٨٣ (الباب الخامس عن القصر).

(٢) سورة يوسف آية ١٠٦.

(٣) سورة البقرة آية ١٤٦/ وسورة الأنعام ٢٠.

على مقتضى الظاهر، وإن مقتضى الحال يستدعي ترك التأكيد، لأن المنكر إذا كان معه دلائل وعلامات ظاهرة بحيث لو تأملها ارتدع عن إنكاره، نُزِّل منزلة غير المنكر، كما تقول لمنكر الإسلام: الإسلام حق من غير تأكيد لأن مع ذلك المنكر دلائل دالة على حقيقة الإسلام. والجملة الإسمية ههنا لا تفيد تأكيداً، لأن مرادهم بقولهم اسمية الجملة من المؤكدات أنها مما يصلح أن يقصد بها التأكيد عند مناسبة المقام فليست للتأكيد مطلقاً.

هذا، ولإيراد المخففة في الشهادة الأولى دون المشدَّدة وجوه: منها ما أفاده شيخنا المحقق، ووافقه على ذلك جمّ غفير من الفضلاء، من أن الشهادة الأولى كثيرة الإستعمال جداً حتى إنها عند أرباب الكمال من الواجبات الدائمة المستمرة الغير المنقطعة نوماً ويقظة. قال عزًّ وجلَّ: ﴿وقلوبهم إلى ذكر الله﴾[1] وذلك أقوى داعٍ إلى التخفيف. وليست الثانية بهذه المثابة على ما لا يخفى وإن كان متى ذكرتَ ذكرتَ يقتضي الكثرة أيضاً.

ومنها ما خطر بالبال من أن الشهادة الأولى لما كانت مقتضية لزيادة التأكيد كما توصل بالتخفيف إلى تأكيدين، بخلاف ما لو أتى بها مشدَّدة مع ضمير الشأن البارز، فإن فيه حينئذ توكيداً واحداً على ما لا يخفى.

ومنها لتكون الشهادتان المرويتان في الآذان متساوية في عدد الكلمات، فإن ألفاظ الشهادة الأولى مع أشهد خمسة، لأن لا عوض عن النون المحذوفة فلا تُعَدُّ كلمة، لأن حرف النفي الداخل على غير الفعل من حروف التعويض كما أفاده الرضي[2]، وكذلك الثانية وفي ذلك إشارة لا تخفى على أرباب الحقائق، وهي أن الإتيان بكل واحدة منها على وجه الكمال مستلزم لإتيان الأخرى، والإقرار بها ولو لم تذكر معها وانتفاء كل منهما مستلزم لانتفاء الأخرى.

ووجه ذلك بعضهم بأن الله تعالى لما كان في غاية الظهور، إذ كل شيء دال على وحدانيته ومنادٍ بأعلى صوت على ربوبيته، خففت أن في الشهادة الأولى لعدم الحاجة إلى زيادة التأكيد، بخلاف النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، إذ هو لما كان أمياً من جنسهم تربى في حجرهم. وبعضهم

---

(١) الزمر ٢٣.

(٢) هو محمد بن الحسن الرضي الإسترابادي، توفي نحو ٦٨٦ هـ/١٢٨٧ م في استراباذ. عالم بالعربية. له بعض التصانيف في النحو والصرف. راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ٨٦، مفتاح السعادة جـ ١ ص ١٤٧، خزانة الأدب جـ ١ ص ١٢، بغية الوعاة ص ٢٤٨.

يزعم التنافي بين الرسالة والبشرية استوجب ذلك مزيد الإنكار، فبقيت على حالها لتدل على ما وضعت له من التأكيد، وفيه نظر: أما أولاً فلأن الله تعالى لما كان باطناً لا تدركه الأبصار مع ظهوره تحيّرت فيه العقول وتاهت في بيداء معرفة كنهه أفكار الفحول، فزاد في الإنكار المنكرون، ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾[1]، فأكدت بما أكدت. فكيف يقال أنها لعدم الإحتياج إلى التوكيد خففت؟ وأما ثانياً، فلأن تخفيف أنّ لا يقتضي نقصان شيء مما تفيده من التوكيد، إذا المحذوف لعلة في حكم الموجود. وأما أن زيادة الحروف تدل على زيادة المعنى فذلك راجع إلى أصل الوضع. وأما ثالثاً فقد سبق في بيان نقصان الثانية عن الأولى من أنه صلى الله تعالى عليه وسلم مشاهد بالبصر مدرك بالعقل فلا يقتضي مزيد التأكيد إلى غير ذلك من المفاسد التي لا تحتاج إلى الدلائل والشواهد.

لا النافية: حقيقتها واستعمالاتها

«ولا» هذه هي النافية للجنس وتسمى لا التبرئة. والفرق بينها وبين بقية حروف النفي مسطور في المطولات[2]، ولا بأس أن نذكر شيئاً من ذلك. أما الفرق بينها وبين لا العاملة عمل ليس فمن عشرة وجوه قد أغنانا شهرتها عن بيانها. وأما الفرق بينها وبين ما النافية فهو أن لا لنفي الذوات بدليل حذف خبرها كثيراً إيذاناً بأن الغرض الإسم لا الخبر، وما لنفي الأعراض. ولهذا لا يحذف خبرها لأنه المقصود بالنفي. ولهذا كان لا إله إلا الله أبلغ، فاختيرت في الأغلب. فإن المقصود في باب التوحيد نفي ذات إله غير الله تعالى، فكانت «لا» أفعل بذلك. وأما الفرق بينها وبين لم فهو أن لا حرف نفي ليفعلُ، ولم حرف نفي لفَعَلَ. وقد ينفي بلا الماضي أيضاً عند التكرار نحو قوله تعالى: ﴿**فلا أقتحم العقبة**﴾[3]، وعند الدعاء كقوله عليه الصلاة والسلام: «لا استطعت»[4]، وما هو بلفظ الدعاء كقوله «لاكبرت سنك»[5]. وما

---

(١) سورة يوسف آية ١٠٦.

(٢) راجع على سبيل المثال: شرح ابن عقيل، جـ١ ص ٣١١ ـ ٣١٦، وكذلك كتاب: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام جـ١ ص ٢٣٧ ـ ٢٥٣.

(٣) البلد آية ١١.

(٤) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، جـ٢ رقم ١٢٩٨، وكذلك رواه الدارمي في سننه في باب الأطعمة، حـ٢ رقم ٩٧، وجـ٣ رقم ١٥٩٩.

(٥) رواه مسلم في صحيحه في كتاب البرّ، جـ٤ رقم ٢٠٠٩.

هو متردد بين الدعاء والنفي كقوله «لا صام ولا أفطر»[1] يعني من صام الدهر.

وأما الفرق بينها وبين لن فهو أن لا حرف نفي ليفعلُ كما مرّ ولن حرف نفي ليفعل. وفرَّق بعض البيانيين أيضاً بأن لن لنفي القريب، ولا لنفي البعيد عكس مقالة الزمخشري[2]، وعلل ذلك بأن الألفاظ متشاكلة المعاني، والنَّفَس يمتد في ألف «لا» أكثر من «لن»، فاقتضت بُعداً زائداً على لن. يعني أنها لمّا اختصت بزيادة مدّ اختصت بزيادة مدَّة، وهذا كما قيل في ثُمّ أنها لما إختصت بزيادة في لفظها على الفآء، اختص معناها بزيادة المهملة دون الفاء، لأن كثرة الحروف مؤذنة بزيادة المعنى. وبحسب المذهبين أوَّلوا الآيتين أعني قوله تعالى: ﴿**ولن يتمنوه أبداً**﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿**ولا يتمنونه أبداً**﴾[4]. ووجه القول البياني أنّ (لا يتمنّونه) جاء بعد الشرط في قوله تعالى: ﴿**إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت**﴾[5]، وحرف الشرط يعم كل الأزمنة، فقوبل بلا ليعمّ ما هو جواب له، أي متى زعموا في وقت ما فقل لهم فتمنوا الموت. و(لن يتمنوه) جاء بعد قوله: ﴿**قل إن كانت لكم الدّار الآخرة عند الله خالصة**﴾[6]، أي إن كان قد وجبت لكم الدار الآخرة فتمنوا الموت الآن استعجالاً للكون في دار الكرامة التي أعدها الله تعالى لأوليائه وأحبائه. وعلى وفق هذا القول جاء قوله تعالى: ﴿**لن تراني**﴾[7]، وآله

---

(١) روي هذا الحديث بصيغ متعددة في معظم كتب الحديث. فقد ذكره الترمذي في باب الصوم جـ ٣ رقم ١٣٨، والنسائي في الصيام جـ ٤ رقم ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ومسلم في الصيام جـ ٢ رقم ٨١٨، ٨١٩، وأبو داود في الصوم جـ ٢ رقم ٨٠٧، والدارمي في الصوم جـ ٢ رقم ١٨، وأحمد في مسنده جـ ٤ ص ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٤٢٦، ٤٣١، ٤٣٣ وجـ ٥ ص ٢٩٧، ٣١١.

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري. ولد في زمخشر (بخوارزم) عام ٤٦٧ هـ/١٠٧٥ م وتوفي في خوارزم عام ٥٣٨ هـ/١١٤٤ م. إمام في التفسير واللغة والأدب، ووضع الكثير من المؤلفات القيمة أهمها: الكشاف، أساس البلاغة وغيرها. راجع عنه: الأعلام جـ ٧ ص ١٧٨، وفيات الأعيان جـ ٢ ص ٨١، إرشاد الأريب جـ ٧ ص ١٤٧، لسان الميزان جـ ٦ ص ٤، آداب اللغة حـ ٣ ص ٤٦، مفتاح السعادة جـ ١ ص ٤٣١.

(٣) البقرة ٩٥.

(٤) الجمعة ٧.

(٥) الجمعة ٦.

(٦) البقرة ٩٤.

(٧) الأعراف ١٤٣.

اسمها. ومذهب سيبويه[1] أن لا وأسمها في موضع رفع بالإبتداء ولا عمل لها في الخبر. ومذهب الأخفش[2] أن اسمها في محل رفع وهي عاملة في الخبر وهو نكرة في سياق النفي فتعمّ بلا شك[3]. لكن كون النكرة في سياق النفي للعموم ليس على إطلاقه، فقد اتفق الأدباء والأصوليون على أن قولنا لا رجل في الدار بل رجلان لا عموم فيه مع أنه نكرة في سياق النفي. واتفق العلماء على أن قولنا ليس كل حيوان إنساناً وليس كل عدد زوجاً كلام صادق وليس للعموم مع أنه نكرة في سياق النفي. ولا يمكن أن يضبط محل النزاع في أن النكرة إذا بنيت مع لا لأن قولنا ما جاءنا من أحد وليس في الدار أحد للعموم مع عدم البناء، فيبقى ضبط محل النزاع مشكلاً. والجواب أنا نقول متى كانت النكرة في سياق النفي فهي للعموم ما عدا هاتين الصورتين.

أما الصورة الأولى فلأن المراد بها نفي الماهية الكلية بقيد الوحدة لا بقيد التتبع في جملة المحال، فلا جرم من أن يقال لا رجل في الدار بل إثنان. أما إذا بنيت النكرة مع لا فلأنه جواب لمن قال هل من رجل في الدار، فقيل لا رجل في الدار، أي لا واحد مما ذكرته كائن في الدار، وتضمن من جهة سبب بناء اسمها معها. وأما ههنا فلما قدَّر البناء دل على عدم سببه وهو متضمن فيكون أخباراً مستأنفاً لا جواباً.

وأما الصورة الثانية فلأنها سلب الحكم عن العمومات وتقريره أنا نتوهم أن قائلاً قال كل عدد زوج، فأثبت حكم الزوجية على العموم، فقصدنا أن نرفع هذه الموجبة الكلية ويكفي في رفعها السلب عن فرد من أفرادها.

---

(١) هو عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي. ولد بشيراز عام ١٤٨ هـ/٧٦٥ وتوفي بالأهواز عام ١٨٠ هـ/٧٩٦ م. إمام النحاة واللغة. وضع كثيراً من كتب النحو وناظر العلماء. ولفظ سيبويه فارسي يعني رائحة التفاح. راجع عنه: الأعلام جـ ٥ ص ٨١، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٨٥، البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٧٦، تاريخ بغداد جـ ١٢ ص ١٩٥، طبقات النحويين ص ٦٦ ـ ٧٤ وغيرها الكثير.

(٢) هو سعيد بن مسعدة المجاشعي البصري المعروف بالأخفس الأوسط. ولد في بلخ ومات بالبصرة حوالي عام ٢١٥ هـ/٨٣٠ م. إمام النحو واللغة. وهو الذي استدرك على الخليل البحر السادس عشر (المتدارك) في علم العروض، ووضع الكثير من المصنفات في النحو واللغة والآداب. راجع عنه: الأعلام جـ ٣ ص ١٠١/١٠٢، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٠٨، إنباه الرواة جـ ٢ ص ٣٦، معجم الأدباء جـ ١١ ص ٢٢٤، بغية الوعاة ٢٥٨ وغيرها.

(٣) حول هذه المسألة الخلافية في النحو، راجع ما ورد في مغني اللبيب جـ ١ ص ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

ولذلك كانت السالبة الجزئية نقيض الموجبة الكلية، والكلية نقيض الجزئية، فنحن نسلب حكم الإيجاب الكلي لا حاكمون بالسلب الكلّي، فحيث ادعينا أن النكرة للعموم فذلك حيث يكون الحكم بالسلب الكلي أي السلب في جميع الأفراد ولا حيث يكون الحكم بسلب الكلى المساوي للسلب الجزئي وذهبت الأئمة الحنفية إلى أن النكرة في سياق النفي إنما عمّت بطريق الإلتزام لا بطريق المطابقة. والمقصود بالنفي إنما هو المعنى الكلّي بالوضع فيلزم من نفيه نفي جزئياته بطريق الإلتزام.

والحق أن العرب وضعت اللفظ للحكم بالسلب على كلّ واحد من تلك الجزئيات، واللفظ يدل على ذلك مطابقة. وأورد عليهم أن الإستثناء يرد على العمومات، فعلى رأيهم لا يكون من جنس المنطوق به لأنه هو الكلية عندهم. وعلى رأي الشافعية يكون من جنس المنطوق لأن المنطوق هو السالبة الكلية والوصل في الإستثناء أن يكون متصلاً مخرجاً لما يتناوله اللفظ مطابقة.

رأي الأصوليين

واعلم أن النكرة المنفية كما في هذا المقام أقوى في الدلالة على العموم من النكرة في سياق النفي. ولذلك قال سيف الدين الآمدي[1] في أبكار الأفكار إن النكرة في سياق النفي لا تعم، وإنما تعم النكرة المنفية. وكذا أطلق جماعة من الأصوليين، والحق غيره، وأنها بحسب المقامات. ويستثنى من ذلك صورتان: إحداهما إذا كانت في سياق الشرط نبه عليه الإمام في البرهان. الثانية إذا كانت في سياق الإمتنان نصَّ عليه القاضي أبو الطيب الطبري[2]. والفرق بين النكرة والمطلق، وهو المسمى باسم الجنس أن النكرة تدل على الحقيقة مع وحدة غير معينة كرجل. والمطلق ما دلَّ على الحقيقة من حيث هي من غير اعتبار وحدة. قال ابن السبكي وعلى هذا

---

(١) هو علي بن محمد بن سالم التغلبي، سيف الدين الآمدي. ولد في آمد عام ٥٥١ هـ/١١٥٦ م وتوفي بدمشق عام ٦٣١ هـ/١٢٣٣ م. أصولي وباحث. تعصب ضده الفقهاء واتهموه بفساد العقيدة. له العديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ٣٣٢، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٢٩، طبقات السبكي جـ ٥ ص ١٢٩، ميزان الإعتدال جـ ١ ص ٤٣٩ ـ لسان الميزان جـ ٣ ص ١٣٤ وغيرها.

(٢) هو القاضي طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري. ولد بطبرستان عام ٣٤٨ هـ/٩٦٠ م وتوفي ببغداد عام ٤٥٠ هـ/١٠٥٨ م. من فقهاء الشافعية. له العديد من المؤلفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٣ ص ٢٢٢، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٣٣، طبقات الشافعية جـ ٣ ص ١٧٦.

الفرق أسلوب المنطيين والأصوليين وكذا الفقهاء حيث اختلفوا فيمن قال لامرأته: إن كان حملك ذكراً فأنت طالقٍ فكان ذكرين، قيل لا تطلق نظراً للتنكير المُشعر بالتوحيد، وقيل تطلق حملاً على الجنس.

وأراد بأسلوب المنطقيين أن المطلق عندهم موضوع القضية المهملة الطبيعية والنكرة موضوع الجزئية في نحو: بعض الحيوان إنسان. وبأسلوب الأصوليين أن المختار عندهم أن اللفظ في المطلق والنكرة واحد، وأن الفرق بينهما بالإعتبار. فإن اعتبر في اللفظ وأدلته على الماهية بلا قيد سمي مطلقاً وإسم جنس، أو مع قيد الوحدة الشائعة سمي نكرة. وقد نقل عن الآمدي أنه فرق عندهما بين المطلق والنكرة وذلك لأن الآمدي قال: النكرة المطلق في سياق الإثبات، وتابعه ابن الحاجب فقال: المطلق ما دلّ على شائع في جنسه، وليس كما نقل، بل بينهما عند ابن الحاجب عموم من وجه وذلك لأن قوله ما دلّ على شائع في جنسه يخرج المعارف ويخرج كل عام ولو نكرة في سياق الإثبات أو النفي نحو كل رجل ولا رجل، لأنه بما انضم إليه من كل والنفي صار للإستغراق وهو ينافي الشيوع. فالمطلق أخص من النكرة بهذا الإعتبار وأعم منها باعتبار تناوله المعرَّف لفظاً فقط نحو اشتر اللحم، وهو خارج عن النكرة بدليل أن علامتها قبول أداة التعريف ودخول ربّ وذلك منتفٍ في المعرَّف لفظاً. وأما قول الآمدي فيقتضي أن المطلق أخص من النكرة مطلقاً، ويرد عليه أنه يخرج منه المعرَّف لفظاً فهو غير منكر. وما جرى عليه ابن الحاجب كالآمدي في تعريف المطلق هو الموافق لأسلوب الأصوليين لأن كلامهم من قواعد استنباط أحكام أفعال المكلفين، والتكليف متعلّق بالأفراد دون المفهومات الكلية التي هي عقلية، بل ويوافق أسلوب المنطقيين أيضاً. فإن المطلق عندهم موضوع القضية المهملة (الطبيعية) لأنه مطلق عن التقييد بالكلية والجزئية. والنكرة قد تكون موضوع الجزئية وقد تكون موضوع الكلية، والحكم بالجميع متعلق بالأفراد. وأما القضايا الطبيعية التي الحكم فيها على الماهية من حيث هي، فقد صرّح المنطقيون بأنه لا إعتبار لها في العلوم قاله الكمال[1].

---

(١) هو محمد بن محمد بن أبي بكر بن علي بن أبي شريف المقدسي، كما الدين. ولد ببيت المقدس عام ٨٢٢ هـ/١٤١٩ م وفيها مات عام ٩٠٦ هـ/١٥٠١ م. من كبار فقهاء الشافعية، أصولي. لقب بشيخ الإسلام وملك العلماء الأعلام لغزارة علمه. له كثير من المصنفات. =

وهل المراد بالإلّه في هذا المقام الإلّـه الحق أم الباطـل؟ والحق الأول كمـا نبهنا عليـه في الروضـة الغناء شـرح دعـاء الثنـاء. ودلالـة «لا وإلاّ» ومـا يشابههما مما يشتمل على نفي واستثنـاء مطلقـاً على المسكوت دلالـة خطاب وهو حجة في الأصح إلا العدد واللقب. وسميت دلالة خطاب لأنها من جنس دلالات الخطاب أو لأن الخطاب دالّ عليها أو اللفظ لمخالفتـه لما يـدل عليه اللفظ. وتسمى مفهـوم مخالفـة للمخالفـة بين المنـطوق والمسكـوت[1]. قـال العـلامة البـرماوي[2]: ومنهم من يسميهـا لحن الخطاب، وهـو عند الجمهـور إسم لأحد نوعي المـوافقة. وقـد أعترف أكثـر منكري المفهـوم باعتبـاره هنا. وقـال بعضهـم إن الدلالـة هنا بـالمنطوق، وممن صـرح بذلـك أبو الحسين بن القطان[3] وأبو إسحاق الشيرازي[4] ورجحـه القرافي في قـواعده والبـرماوي في شـرح الغنية، قـال بدليـل أنه لـو قال مـا له عليّ إلا دينـار كـان ذلـك إقـراراً بالدينار. ولو كان بالمفهوم لم يؤاخذ به لعدم اعتبار المفهوم في الأقارير.

وقال ابن أبي شريف في حواشيه على شرح جمع الجوامع: كيف يقال في لا إلّه إلا الله إن دلالتها على إثبات الإلّهية لله بـالمفهوم؟. لكن المشهـور في كتب الأصـول أنه مفهـوم مخالفـة وهو الـذي جرى عليـه ابن السبكي في

= راجـع عنه: الأعـلام جـ ٧ ص ٥٣، شـذرات الـذهب جـ ٨ ص ٢٩، الأنس الجليـل جـ ٢ ص ٧٠٦، كشف الظنون ص ٧٤٩.

(١) راجع حول ذلك ما ذكره مناع قطان في: مباحث في علوم القرآن ص ٢١٢ ـ ٢١٦. وكذلـك ما أورده عبد الوهاب خلاف في كتابه: علم أصول الفقـه، ص ١٥٣ وما بعـدها، منشـورات دار القلم، الكويت، طـ ١١، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧.

(٢) هـو محمـد بن عبـد الـدائم بن مـوسى النعيمي العسقـلاني البـرمـاوي. ولـد بمصـر عـام ٧٦٣ هـ/١٣٦٢ م ومـات ببيت المقدس عـام ٨٣١ هـ/١٤٢٨ م. من علماء الفقـه والحديث وأصـول الفقه الشـافعي، ترك العـديد من المصنفـات. راجع عنـه: الأعلام جـ ٦ ص ١٨٨، البدر الطالع جـ ٢ ص ١٨١، الأنس الجليل جـ ٢ ص ٤٥٧، الضوء اللامع جـ ٧ ص ٢٨٠.

(٣) هو علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الفاسي. ولد بقرطبة عـام ٥٦٢ هـ/١١٦٧ م وتوفي عام ٦٢٨ هـ/١٢٣٠ م. من حفاظ الحديث. تولى القضاء. له تصـانيف كثيرة. راجـع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ٣٣١، شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٢٨، جـذوة الإقتباس ص ٢٩٨.

(٤) هـو إبراهيم بن علي بن يـوسف الفيـروزبـادي الشيـرازي. ولـد في فيـروزبـاد (فـارس) عـام ٣٩٣ هـ/١٠٠٣ م ومات ببغداد عام ٤٧٦ هـ/١٠٨٣ م. اشتهر بنبوغه وقوة حجته وكان كثيـر المنـاظرة للعلمـاء. وله الكثيـر من التصـانيف. راجـع عنـه: الإعـلام جـ ١ ص ٥١، إرشـاد الأريب جـ ١ ص ٣٥٨، وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٣.

جمع الجوامع، وتبعه القاضي زكريّا[1] في اللّب حتى صرّح بعضهم بأن مفهوم «لا وإلاّ» على أنواع المخالفة. وأجاب بعضهم عما قاله البرماوي بأن محل اعتبار المفهوم في الأقارير إذا كان لغير الحصر كما يفهمه كلامهم، وعما ذكره ابن أبي شريف بأنه لا يعد في دلالة لا إلّه إلا الله على إثبات الإلّهية لله بالمفهوم لأن القصد أولاً وبالذات هو ما خالفنا فيه المشركون لا إثبات ما وافقونا عليه. فكان المناسب للأول المنطوق وللثاني المفهوم. ولذا قال الجلال المحلي[2] في نحو ما قام إلا زيد منطوقه نفي القيام عن غير زيد ومفهومه إثبات القيام لزيد، والإستثناء من الإثبات نفي عند الشافعية وليس بإثبات ولا نفي عند الأئمة الحنفية.) ونقل الإمام فخر الدين الرازي في المعالم الإتفاق مع الشافعية. وجرى على ذلك العضد[3] فقال: الإستثناء في الإثبات نفي إتفاقاً وبالعكس خلافاً للحنفية. واعترضه العلامة التفتازاني[4] في حواشيه بقوله ما نقله المحقق عضد الدين هو المشهور من كلام الشافعية. قال والمذكور في كتب الحنفية أنه ليس من الإثبات نفياً ولا من النفي إثباتاً بل هو تكلم بالباقي بعد (الثنيا)[5]، ومعناه أنه أخرج المستثنى وحكم على الباقي من

---

(١) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري. ولد بمصر عام ٨٢٣ هـ/١٤٢٠ م وتوفي بالقاهرة عام ٩٢٦ هـ/١٥٢٠. كان من كبار علماء الحديث والتفسير حتى لقّب بشيخ الإسلام. ترك العديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٣ ص ٤٦، الكواكب السائرة جـ ١ ص ١٩٦، خطط مبارك جـ ١٢ ص ٦٢.

(٢) هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي. ولد بالقاهرة عام ٧٩١ هـ/١٣٨٩ م وفيها توفي عام ٨٦٤ هـ/١٤٥٩ م. من علماء التفسير والأصول. وضع العديد من التصانيف المهمة. راجع عنه: الأعلام جـ ٥ ص ٣٣٣، حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٥٢، شذرات الذهب جـ ٧ ص ٣٠٣، الضوء اللامع جـ ٧ ص ٣٩، خطط مبارك جـ ١٥ ص ٣١.

(٣) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار، عضد الدين الأيجي. ولد بفارس ومات مسجوناً حوالي عام ٧٥٦ هـ/١٣٥٥ م. من علماء الأصول واللغة. وألّف الكثير من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٣ ص ٢٩٥، بغية الوعاة ص ٢٩٦، مفتاح السعادة جـ ١ ص ١٦٩، طبقات السبكي جـ ٦ ص ١٠٨.

(٤) هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني. ولد بتفتازان (خراسان) عام ٧١٢ هـ/١٣١٢ م وتوفي بسمرقند عام ٧٩٣ هـ/١٣٩٠ م. من أئمة اللغة والبلاغة والمنطق. وضع الكثير من الكتب. راجع عنه: الأعلام جـ ٧ ص ٢١٩، بغية الوعاة ص ٣٩١، مفتاح السعادة جـ ١ ص ١٦٥، الدّرر الكامنة جـ ٤ ص ٣٥٠، آداب اللغة جـ ٣ ص ٢٣٥.

(٥) هكذا وردت في الأصل. ولعل المراد منه الإستثناء بدليل العبارة بعده كما هو موضح في =

غير حكم على المستثنى.

ومن النفى إثبات عند الشافعية، وعند أئمتنا الحنفية ليس بإثبات ولا نفي، وأثبتوا الواسطة بينهما وهي عدم الحكم بشيء، واستدلوا على ذلك بأن الإثبات أنقص من النفي فلا يستلزم ثبوت الأعم ثبوته فيكون حكم المستثنى مسكوتاً عنه.

ومما يؤيد ذلك ما قاله بعض المحققين من المتكلمين بأن لا عالم في قولك: لا عالم إلا زيد، يتضمن شيئين: الحكم بالعدم وتعيين هذا العدم. فالإستثناء بعده يحتمل أن يعود على الحكم بالعدم فلا يستلزم تحقق المثبوت فيبقى المستثنى غير محكوم عليه بشيء لا بنفي ولا إثبات، وهذا معنى الواسطة التي أثبتوها. لا يقال أن الإستثناء يحتمل أن يعود إلى نفس النفي، وإذا انتفى النفي ثبت الإثبات قطعاً ضرورة ترتب وجود الضد على وجود الضد، وإن الظاهر عدم الواسطة بين الإثبات والنفي. والأصل عدم مخالفة الظاهر، لأنّا نقول: الأصل النفي والأصل بقاء الأصل الثابت، والإثبات في كلمة التوحيد مستفاد في الوضع الشرعي كما سيجيء. والنزاع إنما هو في مدلول الوضع اللغوي. فنحو ما قام أحد إلا زيد، وقام القوم إلا زيداً، يدل الأول على إثبات القيام لزيد والثاني نفيه عنه عند الشافعية. وعند الأئمة الحنفية إن زيداً مسكوت عنه من حيث القيام وعدمه وفي مثل عليَّ عشرة إلا ثلاثة انتفاء بثبوت الثلاثة عند الشافعية بدلالة اللفظ وعند الحنفية بحكم البراءة الأصلية وعدم الدلالة على الثبوت، لا بسبب دلالة اللفظ على عدم الثبوت. وفي مثل ليس عليَّ إلا سبعة ثبوت السبعة عند الشافعية بدلالة اللفظ وعند الأئمة الحنفية لا يثبت شيء بحسب دلالة اللفظ، وإنما يثبت بحسب دلالة العرف وطريق الإشارة.

وثبوت الآلهية في كلمة التوحيد من حيث يحصل بها الإيمان في المشرك ومن القائل بنفي الصانع ومن غيرهما بحسب عرف الشرع، فإن ظاهر حال كل متلفظ بها إنما يقصد بها التوحيد لا التعطيل، قاله الكمال ابن أبي شريف تبعاً للزركشي[1].

= النص.

(١) هو محمد بن بهادُر بن عبد الله الزركشي بدر الدين. ولد بمصر عام ٧٤٥ هـ/١٣٤٤ م وفيها =

قــال الجــلال المحلي: ومبنى الخــلاف على أن المستثنى من حيث الحكم مخرج في المحكوم به، فيدخل في نقيضه من قيامه أو عدمه مثلاً، أو يخرج من الحكم فيدخل في نقيضه، أي لا حكم إذ القـاعدة أن مـا خرج من شيء دخل في نقيضه، وجعل الإثبات في كلمة التوحيـد بعرف الشـرع وفي نحـو: ما قـام إلا زيد بـالعرف العـام. وقد نقـل ابن الهمام في تحـريـره عن الجمهـور، ومنهم طـائفـة من أئمـة الحنفيـة، أن الإستثنـاء في الإثبـات نفي وعكسه وقال إنه الأوجه لنقله عن أئمة اللغة.

ونقل عن طائفة أخرى منهم أن دلالة الإستثناء على ثبـوت نقيض حكم المستثنى منـه إشارة لا عبـارة، والإشـارة منـطوق غيـر مقصـود بـالسـوق. ثم عارض قول هذه الطائفة بقول الهـداية مـا أنت إلا حر يعتق لأن الإستثنـاء من النفي إثبات على وجه التأكيد كما في كلمة الشهادة.

قال: وهو ظاهر في أن دلالته دلالة عبارة لا دلالة إشارة. قال: والأوجـه أن دلالـة الإستثناء منـطوق وأنها تـارة تكون عبـارة بأن يقصـد حكم الصـدر، ويقصد نقيضه لمـا بعد إلاّ كمـا في كلمة التـوحيد والإستثنـاء المفرغ. وتـارة تكـون بإشـارة بأن يقصـد الأول ولا يقصد الثـاني كعَلَيَّ عشرة إلاّ ثـلاثـة، إذ القصد السبعة وهو متوسط حسن كما قاله الكمال.

واعلم أن القصـر ههنا من قصـر الصفة على المـوصوف قصـراً حقيقيـاً إفرادياً لرد اعتقاد الشركة إن غلب المشركون على غيرهم. قال في التوضيح: إن معظم الكفار أشركوا، وفي عقولهم إن وجود غير الإله ثـابت، فسيق النفي والإثبات لنفي الغير فيلزم منـه وجوده تعـالى، وهذا على مـذهب من يقول إن الإستثناء إخراج قبل الحكم ثم حكم على الباقي، وذلك لأنه لما ذكر الإلّه ثم أخرج الله تعالى ثم حكم على الباقي بالنفي كـان ذلك إشـارة إلى أن الحكم في المستثنى خلاف الصدر، وإلاّ لما أخرج منـه. وعلى مذهب من يقـول إن مجموع المستثنى والمستثنى منه وأداة الإستثناء موضـوع للباقي يكـون ضرورة لأن وجود الإلّه لما كان ثابتاً في عقولهم يلزم من نفي غيره ثبوته تعالى.

= مـات عام ٧٩٤ هـ/١٣٩٢ م. فقيـه أصـولي. لـه تصـانيف عـديـدة. راجـع عنـه: الأعـلام جـ ٦ ص ٦٠، الدرر الكامنة جـ ٣ ص ٣٩٧، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٣٣٥، وغيرها.

وإن لم يغلب وروعي نفس الأمر جاز أن يكون قصر تعيين باعتبار حال من تردد في الوحدانية من المخاطبين، وأن يكون قصر قلب نظراً لمن اعتقد ربوبيّة غيره تعالى منهم.

والفرق بين التأكيد والقصر بالعموم والخصوص من وجه. قال شيخنا المحقق: التأكيد في اللغة الإستحكام. وفي الإصطلاح التقوية للحكم وتحقيقه في نفسه وكونه ثابتاً مقرراً ولا تعرض له للنفي عما عداه. وأما القصر فهو في اللغة الحبس. وفي الإصطلاح تخصيص شيء بشيء وجعله بحيث لا يعمّه وغيره. والقصر يستلزم التوكيد دون العكس، والتأكيد الصرف يستعمل في مقام إنكار الحكم أو تردده. والقصر يستعمل عند تسليم نفس الحكم لكن مع اعتقاد الشركة أو مع اعتقاد العكس أو مع تساوي الجانبين من غير معرفة التعيين.

ثم إعلم أن بعض الفضلاء قال إن «إلّا» ههنا بمعنى غير، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾[1]، وبقول الشاعر:

وكــل أخ مــفــارقــه أخــوه   لعمر أبيك إلا الفــرقــدان[2]

فإنه لو حمل على الإستثناء الصريح لم يكن التلفظ بالكلمة المباركة توحيداً محضاً، فإن تقدير الكلام حينئذ لا إلّه يستثنى عنه الله فلا يكون نفياً لآلهة لا يستثنى عنها الله تعالى، وهذا ليس بتوحيد. وهذا القائل منازع في هذا الفهم. وإجماع العلماء على أنه يفيد التوحيد المحض وإطلاق الشارع لها غير مقيدة بقيد لا سيما في موضع البيان والتفسير دليل قطعي على أنه صريح فيه.

وأما حمل الآية على «غير» فظاهر لأنها مرفوعة نعتاً لآلهة لا أنَّ المراد

---

(١) الأنبياء آية ٢٢.

(٢) اختلف النحاة في قائل هذا البيت، فقد ذكره سيبويه في شواهده (١/٣٨١) ونسبه إلى عمرو بن معد يكرب. وقال الأعلم: ويروي لسوار بن المضرب. وأنشده الجاحظ في البيان (١/٢٢٨) منسوباً إلى عمرو. وكذلك استشهد به الأشموني في شرحه رقم (٤٥٣) وابن هشام في مغني اللبيب رقم (١٠٨) ورضي الدين في شرح الكافية. أما البغدادي فقد شرحه في الخزانة (٢/٥٢) وقال: إن هذا البيت يروي في شعرين لشاعرين: أحدهما: عمرو بن معد يكرب، والثاني: حضرمي بن عامر أحد بني أسد. كما استشهد به ابن يعيش في شرح المفصل (ص ٢٨٤). والبيت من بحر الوافر وتفعيلاته: مفاعلتن مفاعلتن فعولن. راجع في ذلك: الإنصاف لابن الأنباري جـ ١ ص ٢٦٨ ومغني اللبيب لابن هشام جـ ١ ص ٧٢.

بها الإستثناء إذ المراد نفي المعية لانتفاء التمانع المنفي لانتفاء آلهة غير الله تعالى. وهذا الذي يودّه المتكلمون في صورة التقسيم المسمّى عندهم برهان الخلف. وأما مجيء كلمة التوحيد بالاّ فلإفادتها معنى الوحدة وتقدير لفظة غير في الآية لوجوب نفي مدبِّر لهما إلا واحد ووجوب أن لا يكون ذلك الواحد إلا الله وحده. قال الزمخشري: فإن قلت: لم وجب الأمران؟ قلنا: لعلمنا أن الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحصل بينهما من التغالب والإختلاف، وهو معنى ما أردنا بانتفاء التمانع.

و «الله» مستثنى بإلا، قال بعض الفضلاء ما حاصله: ويجوز فيه الرفع والنصب. أما الرفع فمن ستة أوجه:

أولها: أن خبر لا محذوف وإلا الله بدل من موضع لا مع اسمها أو موضع إسمها قبل دخولها وهذا هو المشهور عند النحويين.

ثانيها: أن خبر لا محذوف كما سبق وإلا الله بدل من الضمير المستكن فيه. وهذا لا كلفة فيه.

ثالثها: أن الخبر محذوف كما سبق وإلا الله صفة لإلّه على الموضع أي موضع لامع اسمها قبل دخول لا. وقدَّر بعضهم هذا المحذوف في الوجود وبعضهم لنا وبعضهم كائن وبعضهم بحق. قال لأن الآلهة الباطلة موجودة في الوجود كالوثن. والمقصود نفي ما عدا الآله الحق. ونازع فيه بعضهم ونفي الحاجة إلى قيد مقدر محتجاً بأن نفي الماهية من غير قيد أعم من نفيها مقيدة. والتقدير أولى جرياً على القاعدة العربية في الخبر. وعلى هذا قال حَسُن تقدير الأخير لما ذكر ولتكون الكلمة جامعة لثبوت ما يستحيل نفيه ونفي ما يستحيل ثبوته.

وقيل إن التقديرين الأوليين أولى من حيث كونه أدلّ على التوحيد المطلق من غير تقييد. ولذلك جاء ﴿وإلهكم إلّه واحد﴾[1]، وأعقب بقوله لا إلّه إلا الله. ويقال إذا قدّر لنا فالمراد أيها العالم الذي هو كل موجود سوى الله عز وجل فاتحدت التقادير.

وقد ردّ الإمام فخر الدين الرازي على من قدر الخبر في الوجود لأن هذا

---

(١) البقرة آية ١٦٣.

النفي عـام مستغرق فتقييـده بالـوجود مخصص فـلا يبقى النفي على عمـومـه المراد منه، فلا يكون هذا إقراراً بالوحدانية على الإطلاق.

رابعها: أن يكون الإستثناء مفرغاً وإلّه إسم لا بُني معها وإلا الله الخبر. وهذا منقول عن الشلوبيني[1]، ورُدَّ عليه بوجهين: أحدهما: أن «لا» لا تعمـل في المـوجب. الثاني: أن إسم لا عـام وإلا الله خـاص، والخـاص لا يكـون خبـراً للعام، فـلا يقال: الحيـوان إنسان لأن الخبـر نفس المبتدأ في المعنى. والحيوان عام ففيه ما ليس بإنسان.

خـامسها: أن لا إلّـه في موضـع رفع على أنـه خبـر مقـدم وإلاَّ الله في موضع رفع على أنه مبتدأ مؤخر ذكر ذلك الزمخشري.

سادسها: أن يكون إلا الله مرفوعاً بـآله ارتفـاع الإسم بالصفـة واستغنى بالمرفـوع عن المنصوب كمـا في مسألـة ما مضـروب الزيـدان. ويؤيده قـول الزمخشري أن إلّه بمعنى مألوه أي معبود. وفي بعض هذه الوجـوه كلام ذكـره ابن هشام[2].

وأما النصب فمن وجهين الأول: أن يكون على الإستثناء إذا قدر الخبـر محـذوفاً. الثـاني: أن يكون الخبـر محذوفـاً كما سبق «وإلاّ الله» صفـة لإسم «لا» على اللفظ.

لفظ الجلالة «الله»: معناها ودلالتها

وهو إسم علم للذات الواجب الـوجود المستحق لجميـع المحامـد، لا واجب في الوجود غيره، خلافاً لما اشتهر عن الفلاسفة حيث إنهم لما زعمـوا أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، والواجب تعـالى واحد حقيقي لا تكثـر فيه بوجه من الوجوه، فلا يصدر عنه ابتداءاً إلاّ واحد.

---

(١) هو عمر بن محمد بن عمر بن عبد الله الأزدي الشلوبيني. ولد بـأشبيلية عـام ٥٦٢ هـ/١١٦٦ وفيهـا توفي عـام ٦٤٥ هـ/١٢٤٧ م. من علماء الأنـدلس في النحـو واللغـة. لـه الكثيـر من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٥ ص ٦٢، وفيـات الأعيان جـ ١ ص ٣٨٢، إنبـاه الرواة جـ ٢ ص ٣٣٢، معجم البلدان جـ ٥ ص ٢٩٠، الـديباج المـذهب ص ١٨٥، صفة جـزيـرة الأندلس ص ١١١ وغيرها.

(٢) هـو عبد الله بن يـوسف بن أحمـد بن عبـد الله، جمـال الـدين ابن هشـام، ولـد بمصـر عـام ٧٠٨ هـ/١٣٠٩ م وفيها توفي عام ٧٦١ هـ/١٣٦٠ مـ. من أكابر علماء النحـو واللغة. صنف الكثير من الكتب. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ١٤٧، الدرر الكامنة جـ ٢ ص ٣٠٨، مفتاح السعادة جـ ١ ص ١٥٩، النجوم الزاهرة جـ ١٠ ص ٣٣٦ وآداب اللغة جـ ٣ ص ١٤٣.

قالوا: الصادر عنه تعالى أولاً العقل الأول وقالوا إذا ثبت أن الصادر الأول عقل فله اعتبارات ثلاثة: وجوده من المبدأ الأول ووجوبه بالنظر إلى المبدأ الأول وإمكانه في ذاته. فبالإعتبار الأول يصدر عنه عقل ثان وبالإعتبار الثاني يصدر عنه النفس المجردة للفلك الأول وبالإعتبار الثالث يصدر عنه الفلك الأول ويصدر من العقل الثاني على هذا الوجه عقل ثالث وفلك ثان ونفس مجردة للفلك الثاني وهكذا إلى أن ينتهي إلى العقل العاشر المسمى بالعقل الفعّال[1] لكثرة فعله وتأثيره في عالم العناصر[2]، فيصدر عنه الهيولي العنصرية[3] والصور الجسميّة والصور النوعية بشرط استعداد الهيولي. وعندهم أن ما سمّاه أهل الشرع بجبريل هو العقل العاشر. لكن قد ذكر المحقق اللآرى[4] أن الحكماء برءآء من هذه العقيدة بل هم مصرّحون بإسناد جميع الأشياء إلى الله تعالى بلا واسطة كما هو مذهب أهل الحق. والوسائط التي يفهم إثباتها من بعض العبارات إنما هي شروط والآت وفي مقام التعليم قد

---

(١) العقل الفعّال، ويقال له العقل المفارق وهو العقل الذي تفيض عنه الصور عن عالم الكون والفساد، فتكون موجودة فيه من حيث هي فاعلة. أما في عالم الكون والفساد فهي لا توجد إلا من جهة الإنفعال. أنظر: المعجم الفلسفي جـ٢ ص ٨٤ ـ ٩١.

(٢) العناصر جمع عنصر. وهو في اللغة الأصل والجنس، وهو مرادف للأم والمادة والركن والأسطقس. قال ابن سينا: العنصر إسم للأصل الأول في الموضوعات. وقد يطلق ويراد به الهيولي الأولى. وعنصرا الجسم عنده هما الجسم والصورة. وقال الخوارزمي: العنصر (الأسطقس) هو الشيء البسيط الذي منه يتركب المركب. والعناصر عند القدماء أربعة هي: النار، الهواء، الماء، والتراب. والعنصر الخامس عند أرسطو مادة الاجرام السماوية، وهو جسم ليس له ضد، فهو لذلك غير متغير، وطبيعته أنه لا يتحرك بغير الحركة المكانية الدائرية. أنظر في ذلك: يوسف كرم: تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٩٢، جميل صليبا: المعجم الفلسفي جـ٢ ص ١١١ ـ ١١٢ (كلمة العنصر).

(٣) الهيولي لفظ يوناني بمعنى الأصل والمادة. واصطلاحاً هي جوهر في الجسم قابل لما يعرض لذلك الجسم من الإتصال والإنفصال، محل للصورتين الجسمية والنوعية. وهي عند ابن سينا الهيولي المطلقة أي الجوهر ووجوده بالفعل إنما يحصل لقبول الصورة الجسمية لقوة فيه قابلة للصور وليس له في ذاته صورة تخصه إلا معنى القوة. والهيولي عند القدماء على أربعة أقسام، كما أن لها أسماء أخرى باعتبارات مختلفة. وللمزيد عنها يرجع إلى: المعجم الفلسفي جـ٢ ص ٥٣٦ ـ ٥٣٧ والجرجاني في التعريفات مادة الهيولي.

(٤) هو مصلح الدين محمد بن صلاح بن جلال الملتوي الأنصاري السعدي. توفي حوالي العام ٩٧٩ هـ/١٥٧١ م. فقيه شافعي، له الكثير من المصنفات في الفقه والأصول، راجع عنه: الأعلام جـ٦ ص ١٦٩، شذرات الذهب جـ٨ ص ٣٥٠.

يتساهلون ويطلقون عليها الوسائط، ثم ساق كلاماً للشيخ يؤيد ما ذكره.

واستدلوا على قاعدة أن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد التي هي مبنى كثير من أصولهم بما لا يخفي بطلان على أقل من له في فن الحكمة دراية. نسأل الله تعالى العصمة من الغواية. وقد ذكر العلماء شيئاً كثيراً في ذم الفلسفة، ولعمري إنهم أهل الحمق والسفه، بال الشيطان في نفوسهم الخبيثة فصاروا شياطين أمثاله فبدأوا بالوسوسة وقنعوا بالسفسطة والضلالة فضلوا وأضلوا كثيراً واشتروا بالسعادة خذلاناً وسعيراً، فما يفوحون إلا بهذيان وترهّات ولا يتكامون إلا بخرافات يعلم ضعفها بأوائل النظر، فإياك ثم إياك أن تنحو ذلك الأثر.

قال الجد[1] روّح الله روحه وجعل في أعلى عليين عبوته وصبوحه في «الطراز المُذْهَب شرح قصيدة الباز الأشهب»: ومن الغريب ما نقل عن بعض الصوفية قدست أسرارهم الزكية أن إسم الذات هو الهآء وحده وهو جار مع أنفاس الخلائق من حيث يدرون ولا يدرون. وما ألطفَ قول بعضهم مع تشطيره لابن النحوي الحلي[2]:

ومن عجب أني أحنّ إليهم	وهم حيث كانوا من حشاي بموضع
واستنطق الأطلال أين ترحلوا	وأسأل عنهم من لقيت وهم معي
وتطلبهم عيني وهم في سوادها	ويهفو لهم سمعي وهم ملء مسمعي
وتشتاقهم نفسي وفي نَفَسي هُمُ	ويصبو لهم قلبي وهم بين أضلعي

وقد ذكروا مناسبات كثيرة لوضع الهآء للذات المقدسة. منها أنها للغيبة وهو لتعذر معرفته بالكُنْهْ غابَ عن العقول. ومنها أن عددها بالجُمَّل خمسة وهي عدد دائر، فإنك إذا ضربته في نفسه حصل خمسة وعشرون وإذا ضربت ذلك في نفسه حصل ستمائة وخمسة وعشرون فالخمسة لا تذهب وهكذا لو كرّرت الضرب ألف ألف مرة تجد الخمسة، بل وما حصل من ضربها في

---

(١) هو جدّ المؤلف محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي. ولد ببغداد عام ١٢١٧ هـ/١٨٠٢ م وفيها توفي عام ١٢٧٠ هـ/١٨٥٤. من المجددين في الفكر السلفي. مجتهد، تولى القضاء وترك الكثير من المصنفات المختلفة. راجع عنه: الأعلام جـ ٧ ص ١٧٦، أعلام العراق ص ٢١، جلاء العينين ص ٢٧ وأعيان البيان ص ٩٩.

(٢) هو محمد رضا بن أحمد بن حسن الحلّي. توفي بالحلة قرب النجف (بالعراق) عام ١٢٢٦ هـ/١٨١١ م. أديب، له أشعار كثيرة. راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ١٢٦، شعراء الحلة جـ ٥ ص ٣ وأعيان الشيعة جـ ٤٥ ص ١٦.

نفسها أولاً دائراً في كلّ حاصل وفي ذلك مناسبة لا تخفي على العارف. ومنها أن الهاء دائرة رسماً، ﴿**والله من ورائهم محيط**﴾[1] ولّه المثل الأعلى. ولله درّ من قال:

كأن الحب دائرة بقلبي فأوله وآخره سواء

وقد أطالوا الكلام في ذلك.

خواص لفظ الجلالة

ثم قال: وللإسم الجليل عندنا خواص لا توجد في غيره من الأسماء. ومن لطائفه أنك إذا لم تتلفّظ بالهمزة بقي لله، ﴿**ولله جنود السموات والأرض**﴾[2] وإن تركت من هذه البنية اللام بقيت على صورة له، ﴿**له ما في السموات وما في الأرض**﴾[3]، وإن تركت اللام الباقية أيضاً بقي الهاء المضمومة من هو: ﴿**لا إله إلا هو**﴾[4]. والواو عند جمع زائدة بدليل سقوطها في هما وهم وهُنّ. وأما بحسب المعنى فإذا دعوت الله تعالى فكأنك دعوته بجميع الصفات، بخلاف سائر الأسماء. ولهذا صحت كلمةالشهادة به فقط وكان هو الإسم الأعظم على الصحيح وعدم الإستجابة لفقد الشرائط التي من جملتها التجنّب عن المحرّمات.

وينبغي أن يكون حظ العبد من هذا الإسم الجليل استغراق القرب والهمّة بالله تعالى بحيث لا يرى غيره سبحانه ولا يلتفت إلى سواه،

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل[5]

وقد تفرَّد به جلَّ شأنه فلم يحصل لغيره شركة في لفظه كما أنه لم يكن لأحد شركة في معناه وعليه تجري جمع صفاته،

---

(١) البروج / ٢٠.

(٢) الفتح / ٤/ ٧.

(٣) البقرة / ٢٥٥ ـ إبراهيم / ٢ ـ يونس / ٦٨ وغيرها كثير في القرآن الكريم.

(٤) البقرة / ٢٥٥ ـ التوبة / ٣١ ـ الدخان / ٨ وغيرها كثير في القرآن الكريم.

(٥) هذا البيت من قصيدة للبيد بن ربيعة الصحابي تزيد عن خمسين بيتاً يمدح بها النعمان، ومطلعها:

ألا تسألان المرء ماذا يحاول أنحبٌ فيقضى أم ضلال وباطل

ويروي ابن إسحاق في مغازيه أن عثمان بن مظعون مرَّ بمجلس ولبيد ينشد البيت المذكور: ألا كل شيء ما خلا الله باطل، فقال عثمان: صدقت. فلما قال لبيد: وكل نعيم لا محالة زائل، قال له عثمان: كذبت. وروي عن هذا البيت أكثر من حادثة. ويمكن الرجوع إلى: خزانة الأدب جـ ٢ ص ٥٦١، الشعر والشعراء ص ٢٣٧، الأغاني جـ ١٥ ص ٣٠١/ ٣٠٢ وشرح شواهد المغني للسيوطي جـ ١ ص ١٥٠، ١٥٤.

وهو بمثابة العلم من حيث إنه يوصف ولا يوصف بـه لأنه إسم علم لله تعـالى كأسماء الأعلام التي سمي بها غيـره، فإن الأعـلام في الأصل وصف للتمييـز بين المسميين وهذا محال على الله تعـالى وهو أيضـاً مستغن عن الخلاف في أن أي المعـرفتين أعرف، ولـذلك قـال سيبويـه: إسم الله أعـرف المعـارف. وروى أنه لما رؤي في المنام وقد نال خيراً كثيراً لهذه الكلمة، وأنه غير مشتق من شيء بدليل قوله تعالى: ﴿**هل تعلم له سميّاً**﴾[1]. فلو كـان مشتقاً كـان له سمياً، لأن المشركين سموا أصنامهم آلهة وهذا غيـر لازم لأن الذي سمي بـه المشركون: ﴿**اجعل لنا آلهة كما لهم آلهـة**﴾[2]، وقال تعـالى: ﴿**وإلهكم وإله موسى**﴾[3]، فأما إسم الله تعالى فلام التعريف اللازمة عـوضاً عن الهمـزة فلم يسمّ بـه غيره تعـالى ولـم يستعمل قط منكّـراً، وقولـه تعـالى: ﴿**هـل تعلم لـه سميـاً**﴾ أي هل تعلم شيئـاً يسمى الله غيره أو هـل تعلم له نـظيـراً في الخلق ووجوب الآلهة، فـإنه لا يستلزم الإتحـاد لاتحاد المعنى فـإن العرب قـد تضع للمعنيين إسمين مختلفين من لفظ واحـد، فقـد قـالـوا للبنـاء حصين وللمـرأة حصان وللشجر ذرنب وللمرأة ذرّان وكلاهمـا مشتق من الحصانـة والزرانـة[4]. ومن زعمهم الكاذب أن العيوق عـاق الدبـران لما سـاق إلى الثريـا مهراً وهي نجوم صغار نحو عشرين نجمـاً فهو يتبعهـا أبداً خـاطباً لهـا، والدبـران يفوقـه ولذلك سموا هذه النجوم القلاص، وعليه قول الشاعر:

أمـا أبـو الـطرق فقـد أوفى بـذمتـه ... كمـا وفّى بقلوص النجم حـاديهـا[5]

وعلى هذا لا يمتنع أن لفظ الله مشتق من الألوهية وهـو المذهب الـذي جـرى عليه الأكثـرون. وقيل مشتق من آلِـهَ إذا فـزع، والله تعـالى منـزع كـل شيء، وهو مروي عن ابن عبـاس رضي الله تعالى عنهمـا أو من إله إذا تحيَّـر ودهش، لأن العقـول تحار في عـظمة الله تعـالى. وفي اشتقـاقـه أقـوال أخـر تركناها لطولها.

ولما تقرر وثبت أن ليس في الوجود إله غير الله سبحانه وتعالى نذكر لك

---

(١) مريم /٦٥.

(٢) الأعراف /١٣٨.

(٣) الكهف /٨٨.

(٤) راجع في ذلك: لسان العرب لابن منظور مادة (حصن) ومادة (رزن).

(٥) البيت للشاعر طفيل ذكره صاحب لسان العرب جـ٨ ص ٣٥٠، مادة (قلص). وقلاص النجم هي العشرون نجماً التي ساقها الدبران في خطبة الثريا كما تزعم العرب.

شيئاً يتعلق بذلك، وهو أن وجوده سبحانه أزلي، وهو ووجود العالم الماسك له متحدان، وهذا مراد من قال بوحدة الوجود[1]. قال بعض الفضلاء: وهو قول حق أجمع عليه أئمة الإسلام وتطابقت عليه آراء العقلاء من الأنام. ثم قال: وبيان ذلك على وجه يرتفع عنه الغبار ويزول به الإنكار إن العوالم كلها على اختلاف أجناسها وتعدد أنواعها وأشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى، لا بنفسها، محفوظ عليها الوجود في كل لمحة. وإذا كانت كذلك فوجودها الذي هي موجودة به في كل لمحة هو وجود الله تعالى لا وجود آخر غير وجوده سبحانه، فالعوالم كلها من جهة نفسها معدومة بعدمها الأصلي. وإما من جهة وجود الله تعالى فهي موجودة به. فوجود الله تعالى ووجودها الذي هي به موجودة وجود واحد وهو وجود الله تعالى. وليس المراد بوجودها الذي هو وجود الله تعالى عين ذواتها وصورها بل المراد ما به ذواتها وصورها ثابتة في أعيانها وما ذلك إلا وجود الله تعالى بإجماع العقلاء. وأما ذواتها وصورها من حيث هي في أنفسها مع قطع النظر عن إيجاد الله تعالى لها بوجوده الأقدس فلا وجود لأعيانها أصلاً»[2].

وأما القائلون من علماء الرسوم بأن الوجود قديم وحادث، فمرادهم بالحادث نفس الأعيان والصور فقط. ولهذا كان مذهب الأشعري[3] ان وجود كل شيء عينه كما تقرر في موضعه. وأما الوجود الذي به تلك الأعيان والصور موجودة فلا شك أنه وجود الذات الأقدس بلا خوف. وكلام المحققين في هذا لا في الوجود الذي هو عين ذات الموجود. فالخلاف في

---

(١) وحدة الوجود مذهب يقوم على توحيد الله، وأن كل شيء هو الله. وهو مذهب قديم قالت به معظم الأمم القديمة واعتنقه الصوفية، وطوروه وقالوا: إن الله هو الحق وليس هناك إلا موجود واحد، هو الموجود المطلق. أما العالم فهو مظهر من مظاهر الذات الإلّهية، وليس له وجود في ذاته لأنه صادر عن الله بالتجلي. أنظر: المعجم الفلسفي جـ ٢ ص ٥٦٩.

(٢) هذا فحوى ما تنادي به نظرية وحدة الوجود كما يراها الصوفية.

(٣) هو الإمام علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري. ولد في البصرة عام ٢٦٠ هـ/٨٧٤ م وتوفي ببغداد عام ٣٢٤ هـ/٩٣٦ م. من كبار أئمة الكلام فقيه مجتهد، مؤسس مذهب الأشعرية. له الكثير من المصنفات، راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ٢٦٣، طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٢٤٥، خطط المقريزي جـ ٢ ص ٣٥٩، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٢٦، البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٨٧، واللباب جـ ١ ص ٥٢، وتبيين كذب المفتري لابن عساكر ص ١٢٨.

ذلك لفظي راجع إلى تفسير المراد بلفظ الوجود، وقد قرر في غير موضع أن له ثلاثة إطلاقات: فعند السادة[1] بمعني مبدأ الآثار التي صارت به الأشياء موجودة. وعند الأشعري وجود كل شيء عينه، وعند جمهور المتكلمين هو كون الشيء في الأعيان. ولا خلاف في أنه بالمعنيين الأخيرين متعدد وبالمعنى الأول واحد. والبرهان القطعي على هذا برهان التمانع، والقائل بخلافه كافر بالله تعالى العظيم إجماعاً.

والزنادقة[2] فهموا من الوجود ما قاله الأشعري وقالوا الحق عين وجود الأشياء فأبطلوا الشريعة المحمدية ورفعوا التكاليف الإلّهية. وهولآء أبعد الخلق عن الحق، ولا ضير في الطعن بهم وتكفير في شرب في خبيث مشربهم. ولكن كثيراً من القشيريين[3] ترقوا من الطعن بهؤلاء المارقين إلى القدح بالسادة العارفين، مع أن كتب القوم مشحونة باثبات الوجود الحادث المفروض المقرر صريحاً وإشارة، ومملوءة بالحكم بأنّه غير الوجود القديم، وإن كانوا قائلين بوحدة الوجود، غير أنهم تارة يغلب عليهم شهود الوجود الحق الحقيقي الذي به كل موجود، فينفون ما عداه، ويقولون عما سواه إنه خيال وسراب، وأن ليس في العيان سوى الملك الوهاب، وقد علمت المراد وظهر لك طريق السداد، فلا طريق إلا طريق السادة أرباب الشهود ولا اعتقاد إلا اعتقاد وحدة الوجود. وإن أردت بسط الكلام فيه لم تقنع بهذا اليسير المغني لملّ تأمله عن كثير فارجع إلى المطولات.

ولمّا كان عادة من تكلم على لفظ الجلالة يذكر الخلاف في الاسم والمسمى فلا بأس أن نذكر نبذة من ذلك، وإن قال بعض المتأخرين إن الخلاف محله في غير اسم الله تعالى لأنه لا يجوز إطلاق ذلك عليه بل هو

---

(١) يقصد المؤلف بالسادة هنا أي الصوفية.

(٢) يختلف المؤرخون والعلماء في تحديد كلمة الزندقة وبالتالي هوية الزنادقة وأصلهم. فمن قائل إنهم أصحاب ماني، ومن قائل أنهم كل كافر. ويرى البعض أنهم خمس فرق وهم: الذين ينكرون الخلق والخالق، المانوية، المزدكية، العبدكية (الزهّاد الذين لا يأكلون الحيوان) والمعطلة. وقد تطورت هذه الكلمة حتى أطلقت على كل ملحد عموماً. راجع في ذلك: مروج الذهب جـ ١ ص ٢٥٠ وما بعدها. وفجر الإسلام (فصل خاص عن الزندقة) ودائرة المعارف الإسلامية، مادة: زنديق.

(٣) نسبة إلى الإمام القشيري عبد الكريم بن هوازن صاحب الرسالة القشيرية.

سبحانه وتعالى واحد في ذاته وصفاته، وذاته وصفاته كذلك لا يقال هذا هـذا ولا يقال هذا غيره بل نطلقه كما أطلقه جل شأنه.

فأقول: ذكر الأنصاري[1] في شرح الإرشاد والإمام[2] في الارشاد عن الشيخ أبي الحسن الأشعري أن اسماء الله تعالى ثلاثة أقسام: ما يقال انه هو، وهو كل ما دلت التسمية به على وجوده كالموجود والقديم ونحوهما. ومن أسمائه ما يقال إنها غيره، وهو كل ما دلت التسمية به على فعل كالخالق والرازق. ومن أسمآئه ما يقال إنه هو ولا يقال انه غيره، وهو كل ما دلت التسمية به على صفة كالعالم والقادر. قال الزركشي: وقد ذكر بعض أئمتنا وهم الشافعية أن كل اسم هو المسمى بعينه وصار إلى أن الرب سبحانه وتعالى إذا سمي خالقاً ورازقاً، فالخالق والرازق هو الاسم وهو الرب سبحانه وتعالى، وليس الخالق اسماً للخلق ولا الخلق اسم للخالق وطردوا ذلك في جميع الأقسام.

وقال إمام الحرمين: والمرضي عندنا طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري فإن الاسماء تنزل منزلة الصفات. فإذا أطلقت حملت على ثبوت محقق، فإذا قلنا الله الخالق وجب صرف ذلك الى ثبوت محقق وهو الخلق وكأنَّ معنى الخالق من له الخلق ولا يرجع من الخلق صفة محققة الى الذات، فلا يدل الخالق إلا على إثبات الخلق. ولذلك قال أئمة الشافعية ولا يتصف الرب تعالى في أزله بكونه خالقاً إذ لو خلق في الأزل، ولو وصف بذلك على معنى أنه قادر، كان توسعاً وتجوّزاً[3].

---

(١) هو سليمان بن ناصر بن عمران الأنصاري. توفي حوال العام ٥١٢ هـ/١١١٨ م. فقيه شافعي ومفسر، إمام في الزهد. راجع عنه: الأعلام جـ٣ ص ١٣٧، طبقات السبكي جـ ٤ ص ٢٢٢، كشف الظنون ص ١٢١٢.

(٢) هو الإمام عبد الملك بن عبدالله بن يوسف بن محمد الجويني، إمام الحرمين، ولد بنيسابور عام ٤١٩ هـ/١٠٢٨ م وتوفي فيها عام ٤٧٨ هـ/١٠٨٥ م. شافعي من علماء العقيدة. شهد له بالفضل والعلم، وترك الكثير من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ١٦٠، وفيات الأعيان ج ١ ص ٢٨٧، مفتاح السعادة جـ ١ ص ٤٤٠، تبيين كذب المفتري ص ٢٧٨ وغيرها..

(٣) لمزيد من التفصيل حول مسألة الصفات عند الجويني يمكن الرجوع إلى كتابيه: الإرشاد ص ٣٠ وما بعدها، والشامل ص ١٠٤ وما بعدها.

واعلم أن كثيراً من الناس قد ظنوا أن الخلاف في مسألة الاسم هل هو المسمى أم غيره لفظيّ لا يترتب عليه فائدة، والأمر ليس كذلك. وبيانه انك إذا سميت شيئاً باسم فانظر في ثلاثة أشياء: الاسم وهو اللفظ، ومعناه قبل التسمية، ومعناه بعد التسمية وهو الذات التي أطلق اللفظ عليها. والذات واللفظ متغايران قطعاً. والنحاة إنما يطلقون الاسم على اللفظ لانهم إنما يتكلمون في الألفاظ وهو غير المسمى قطعاً عند الفريقين، وهو ليس الاسم قطعاً. والخلاف إنما هو في معنى اللفظ قبل التلقيب، فعلى قواعد المتكلمين يطلقون الإسم عليه، ويختلفون في أنه الثالث أم لا. فالخلاف عندهم هل هو المسمى أم لا في الاسم اللفظي، وأما النحاة فلا يطلقون الاسم على غير اللفظ لأن صناعتهم إنما تنظر في الألفاظ، والمتكلم لا ينازع في ذلك ولا يمنع هذا الاطلاق لأنه اطلاق اسم المدلول على الدال، بل يريد شيئاً آخر دعاه علم الكلام الى تحقيقه في مسألة الاسماء الصفات واطلاقها على الباري تعالى كما تقرر في علم الكلام.

فإذا قلت عبدالله أنف الناقة مثلاً فالنحاة يريدون باللقب أنف الناقة، والمتكلمون يريدون معناه وهو ما يفهم منه مدح أو ذم. وقول النحاة إن اللقب ويعنون به اللفظ ما أشعر بضعة المسمى أو رفعته لا ينافيه لأن اللفظ يشعر بدلالته على المعني والمقتضى لهما في الحقيقةهو المعنى. وذات عبدالله هو الملقب عند الفريقين. فهذا تفتيح محل الخلاف في هذه المسألة وبه يظهر أن الخلاف في ان الاسم هو المسمى أم غيره خاص بأسماء الاعلام المشتقة لا في كل اسم، والمقصود به إنما هو المسألة المتعلقة بأصول الدين وتمام الكلام في مبحث الاسماء والصفات في علم الكلام، وقد ذكرت في الروضة نبذة تتعلق بذلك فراجعها.

وههنا فوائد ذكرها بعض الفضلاء: منها أن جميع حروف لا إلّه إلا الله جوفية ليس فيها من الحروف الشفوية[1]، وذلك للإشارة الى أنه ينبغي التجرد عن كل معبود سوى الله تعالى. ومنها أنه بدأ بالنفي للإشارة الى أنه ينبغي تطهير القلب من الأغيار، وصفاء جوهره لاستجلاء الأنوار وحصول الأسرار

(١) المقصود بالحروف الجوفية هي الحروف التي تكون مخارجها من أقصى الحلق أو وسطه أما: الشفوية فهي التي تكون مخارجها من بين الشفتين.

وقوة الأبصار. وهذه أشبه بمعارف الصوفية وأليق بمُعاني المعَاني العرفانية. وأهل المعاني[1] يقولون إنما بدأ بالنفي لأن النفي تفريغ القلب. فإذا كان خالياً، كان أقرب إلى ارتسام التوحيد واشراق أنوار الله تعالى فيه.

وذكر بعض المتكلمين أن نفي الربوبية عن الغير ثم اثباتها له تعالى آكد، فلا يرد أن تصور الاثبات متقدم على تصور النفي بدليل إمكان تصور الاثبات مجرداً عن تصور العدم دون العكس، فيقتضي تغيير العبارة. وفيها فوائد أخر لا يسعها بيان ولا يحيط بها جنان، وفيها سؤال وجواب مشهوران ذكرتهما في الروضة مع فوائد جمة.

والواو في «وأنَّ» عاطفة للجملة الثانية على الأولى لأنه إذا أتت جملة بعد جملة وكان للأولى محل من الاعراب أي محل من محلّ ذي الاعراب بأن تكون في محل لو كان فيه مفرد لكان معرباً. وقصد تشريك الثانية لها في حكمه الذي كان لها عطفت الثانية عليها ليدل العطف على التشريك. وههنا الأمر كذلك لأن الأولي في تأويل مصدر مجرور بالباء المحذوفة لأن حذف حرف الجر من أنْ وأنّ مطرد. والتقدير أقر وأعترف بكون الله سبحانه واحداً لا شَريك له وبرسالة محمد ﷺ.

وشرطوا[2] لقبول العطف بالواو ونحوه أن يكون بين الجملتين أو المفردين جهة جامعة، أي وصف خاص يجمعهما ويقرب إحداهما في الاخرى، ولا يكفي مطلق ما يجتمعان فيه لأن كل شيء لا بد أن يجتمعا في شيء حتى الضب والنون فإنهما يجتمعان في الحيوانية مثلاً والجامع ههنا خيالّي لأن بينهما تقارناً في خيال المتلفظ بهما أو السامع على أختلاف في ذلك. وسبب تقارنهما في الخيال مختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأمكنة مثل أن حديث العهد بالاسلام تارة يحصل له اجتماعهما وتارة لا يحصل. فاذا تمكن الايمان في قلبه وداوم على ذكر الله تعالى وذكر رسوله ﷺ لم تفترق الصورتان في خياله. فمتى ذكر إحدى الشهادتين حضرت بفكره الأخرى، كما أنه من تعلقت همته بصناعة الصياغة)أوجب له ذلك مخالطة

---

(١) يقصد بأهل المعاني علماء البلاغة لأنهم إنما يبحثون في بيان وجوه الإعجاز.

(٢) أي النجاة.

أمورها في سبائك الذهب والفضة والآتهما. وقد ذكر السكاكي[1] ههنا حكايات وقصصاً تزيد المقام وضوحاً. وسيأتي للواو بحث آخر إن شاء الله تعالى.

محمد رسول الله

ومحمد أشّرف اسماء من هو أفضل الخلق على الاطلاق. والشافع المشفع إذا ضاق الخناق، عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، وهو علم منقول من اسم مفعول الفعل المضعف. سمي به لكثرة خصاله الحميدة أو لكثرة حمد الناس له، وهذه مانعة الخلو بالمعنى الأخص، كيف لا وقد خصه الله تعالى بما حاكى جميع معجزات غيره من الأنبياء والرسل الكرام عليه وعليهم أفضل الصلاة وأكمل السلام.

فمن ذلك سجود الملائكة لآدم فقد قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير[2] إن الملائكة أمروا بالسجود لآدم لأجل أن نور محمد صلى الله تعالى عليه وسلم كان في جبهته. وقال سهل بن محمد[3] هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم بقوله: ﴿**إن الله وملائكته يصلون على النبي الآية**﴾[4]، أتمّ وأجمع من تشريف آدم بأمر الملائكة بالسجود له لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في هذا التشريف سواء. فتشريف يصدر منه أبلغ من تشريف يختص به الملائكة.

ومنه تعليم آدم أسماء كل شيء، فقد أخرج الديلمي[5] من حديث أبي

---

(١) هو يوسف بن أبي بكر بن محمد بن على السكاكي الخوارزمي. ولد بخوارزم عام ٥٥٥ هـ/١١٦٠ م وفيها توفي عام ٦٢٦ هـ/١٢٢٩ م. من علماء اللغة والأدب وله بعض المؤلفات راجع عنه: الأعلام جـ٨ ص ٢٢٢، مفتاح السعادة جـ١ ص ١٦٣، الجواهر المضية ص ٢٢٥، شذرات الذهب جـ ٥ ص ١٢٢، بغية الوعاة ص ٤٢٥.

(٢) فليراجع قول الرازي في كتابه المسمى: مفاتيح الغيب عند تفسير آية السجود لآدم في سورة البقرة.

(٣) هو سهل بن محمد بن عثمان الجشمي السجستاني، توفي عام ٢٤٨ هـ/٨٦٢ م. من كبار علماء اللغة والشعر وله الكثير من المؤلفات. راجع عنه: الأعلام جـ٣ ص ١٤٣، الفهرست لابن النديم جـ١ ص ٥٨، وفيات الأعيان جـ١ ص ٢١٨، بغية الوعاة ص ٢٥٦، إنباه الرواة جـ٢ ص ٥٨، آداب اللغة جـ٢ ص ١٨٥.

(٤) سورة الأحزاب آية ٥٦.

(٥) هو شيرويه بن شهردار بن شيرويه بن فناخسرو الديلمي الهمذاني. ولد عام ٤٤٥ هـ/١٠٥٣ م وتوفي عام ٥٠٩ هـ/١١١٥ م. من علماء الحديث، مؤرخ له الكثير من=

رافع قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علمت الأسماء كلها وزاد عليه بعلم ذواتها[1]، ولا ريب أن المسميات أعلى رتبة من الاسماء. ومنه رفع أدريس فقد أعطى نبينا المعراج ورفع إلى مكان لم يرفع إليه غيره.ومنه نجاة نوح ومن آمن معه من الغرق فقد أعطى نبينا أنه لم تهلك أمتك بعذابٍ من السماء. قال الله تعالى: ﴿**وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم**﴾[2]. ومنه برد نار ابراهيم وجعلهسلاماً عليه فقد أعطى نبينا إطفاء نار الحرب وناهيك بنار حطبها السيوف ووهجها الحتوف وموقدها الجسد ومطلبها الروح. وقد روى أن دون سماء الدنيا بحر من نار[3]، فإن سح فقد مرّ النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عليه ليلة المعراج وسلم منه.

قُلْتُ وقد ذكرت الفلاسفة أن تحت كرة سماء القمر عناصر أربع كلها كرّية فأولها كرة النار بحيث يماس سطح محدّبها مقعر ذلك الفلك ومقعرها محدب كرة الهواء وأقاموا على ذلك براهين عديدة. فهذا يؤيد مضمون الحديث.

من معجزات الرسول

وروى النسائي[4] أن محمداً بن حاطب[5] قال: كنت طفلاً فانصبَّت القدر عليَّ واحترق جلدي كله فحملني أبي إلى رسول الله ﷺ فتفل في

= المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٣ ص ١٨٣، طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٢٣٠، كشف الظنون ص ١٢٥٤.

(١) رواه البخاري بلفظ: وعلمك بأسماء كل شيء فاشفع لنا. ذكره في باب التوحيد ٣٧، جـ ٩ ص ٢٦٥، وكذلك الدارمي في سننه جـ ٥ ص ٧٩. ولعل عبارة: «وزاد عليه بعلم دواتها» من وضع الراوي لإفادة معنى أن النبي ﷺ عرف الأسماء وعرف مسمياتها وليست العبارة من أصل الحديث.

(٢) سورة الأنفال آية ٣٣.

(٣) لم أعثر على نص واضح بهذا اللفظ للحديث المذكور، وإنما ورد قريب من معناه في مجمع الزوائد جـ ١ ص ٧٩.

(٤) هو أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن دينار النسائي. ولد عام ٢١٥/ ٨٣٠ م وتوفي عام ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م. صاحب السنن، قاضٍ، حافظ، لقب بشيخ الإسلام. له الكثير من المؤلفات، راجع عن: الإعلام جـ ١ ص ١٧١، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢١، البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٢٣، طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٨٣، تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٢٤١.

(٥) هو محمد بن حاطب بن الحارث بن معمر القرشي الجمحي. توفي حوالي عام ٧٤ هـ/٦٩٣ م. صحابي جليل. راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ٧٥، الإصابة رقم ٧٧٦٧، شذرات الذهب جـ ١ ص ٨٢.

جلدي ومسح يده على المحترق وقال: إذهب الباس رب الناس فصرت صحيحاً لا بأس بي[1].

ومنه اعطاء إبراهيم مقام الخلّة[2] فقد أعطيه نبّينا وزاد بمقام المحبة كما وردت الروايات بذلك. ومنه أعطى إبراهيم من انفراده بعبادة الله تعالى وحده وكسر الأصنام فقد إنفرد صلى الله تعالى عليه وسلم بالعبادة في غار حرآء وكسر الأصنام بأسرها كما فصّل ذلك في كتب السير[3]. ومنه بنآء ابراهيم البيت[4] فقد وضع نبينا الحجر الأسود الذي هو روح البيت بيده الشريفة عند بنآء قريش للبيت كما هو المشهور[5]. ومنه قلب عصا موسى حية فقد أعطى نبيّنا حنين الجذع[6].

وحكى الإمام في تفسيره وغيره أنه لما أراد أبو جهل أن يرميه بالحجر رأى على كتفه ثعبانين فإنصرف مرعوباً. ومنه اعطاء موسى اليد البيضاء فقد أعطى نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أنه لم يزل نوراً ينتقل في أصلاب الأباء وبطون الأمهات من لدن آدم إلى أن انتقل إلى عبدالله[7]. وصلّى معه

---

(١) روي هذا الحديث في كتب الصحاح كلها. فقد ذكره البخاري في كتاب المرض جـ ٧ ص ٢٢١، ص ٢٤٥، ومسلم في كتاب السلام جـ ٤ ص ١٧٢١ - ١٧٢٣، وابن ماجة في الطب جـ ١ رقم ١١٥٠ - ١١٦٣، ١١٦٧، وباب الجنائز جـ ١ رقم ٥١٧، والدارمي في الطب رقم ١٨، ١٩ والترمذي في الدعوات جـ ٥ ص ٥٦١.

(٢) وبذلك نطقت الأية: ﴿واتخذ الله ابراهيم خليلاً﴾. سورة آل عمران آية ١٢٥.

(٣) إشارة إلى ما فعله النبي ﷺ يوم فتح مكة عندما كسرَّ الأصنام وهو يقول: وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً.

(٤) إشارة للآية الكريمة: ﴿وإذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت وإسماعيل﴾. سورة البقرة آية ١٢٧.

(٥) انظر حديث بناء الكعبة في كتب السير، فقد رواها كل من الذهبي في السيرة النبوية ص ٦٦، ابن هشام جـ ١ ص ٢٢١، والسير والمغازي لابن اسحاق ص ١٠٣، نهاية الأرب ج ١٦ ص ٩٩، طبقات ابن سعد جـ ١ ص ١٤٥، عيون الأثر جـ ١ ص ٥١، تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٢٨٦، السيرة لابن كثير جـ ١ ص ٢٧٣، وأخبار مكة للأزرقي جـ ١ ص ١٥٨.

(٦) حديث حنين الجذع وبكائه ذكره البخاري في صحيحه جـ ٤ ص ١٧٣ باب علامات النبوة في الإسلام، أبو نعيم في دلائل النبوة جـ ٢ ص ١٤٢ والذهبي في السيرة ص ٣٥٤.

(٧) حديث النبي ﷺ بأنه نور ينتقل في الأصلاب، ذكر بمعناه أحمد بن حنبل في المسند جـ ٤ ص ١٢٧ وجـ ٥ ص ٢٦٢، وابن هشام في السيرة جـ ١ ص ١٨٨، والذهبي في السيرة ص ٤٢، وابن عساكر في التهذيب ج ١ ص ٢٨٣.

قتادة بن نعمان[1] العشاء في ليلة مظلمة مطيرة فاعطاه عرجونا فأضاء له العرجون حتى دخل بيته. ولذلك قصة ذكرها أهل السير.

واخرج البيهقي[2] وصححه الحاكم[3] عن أنس[4] قال كان عباد بن بشر[5] وأسيد ابن جهير[6] عند رسول الله صلىّ الله تعالى عليه وسلم حتى ذهب من الليل ساعة وهي ليلة شديدة الظلمة ثم خرجا وبيد كل منهما عصا فأضاءت لهما عصا احدهما فمشيا في ضوئها حتى اذا افترقت بهم الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ هديه. ورواه البخاري بنحوه في الصحيح.

وأخرج البخاري في تاريخه والبيهقي وأبو نعيم عن حمزة الأسلمي[7]

---

(١) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الأوسي. توفي بالمدينة حوالي العام ٢٣ هـ/٦٤٤ م عن ٦٥ عاماً. صحابي جليل، شهد المشاهد مع رسول الله. راجع عنه: الاعلام جـ ٥ ص ١٨٩، صفوة الصفوة جـ ١ ص ١٨٣، واللباب جـ ٢ ص ١٠٠ وغيرها.

(٢) هو أحمد بن الحسين بن علي. ولد بنيسابور عام ٣٨٤ هـ/٩٩٤، وفيها توفي عام ٤٥٨ هـ/١٠٦٦ م. إمام الحديث، فقيه شافعي. صنف الكثير من الكتب. راجع عنه: الأعلام جـ ١ ص ١١٦، شذرات الذهب جـ ١ ص ١١٦، شذرات الذهب جـ ٣ ص ١٠٤، طبقات الشافعية جـ ٣ ص ٢٣ وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٠ وغيرها.

(٣) هو محمد بن عبدالله بن حمدوية بن نعيم الضبي النيسابوري. ولدبنيسابور عام ٣٢١ هـ/٩٣٣ وفيها توفي عام ٤٠٥ هـ/١٠١٤، من أكابر علماء الحديث تولى القضاء وله العديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ٢٢٧، طبقات الشافعية جـ ٣ ص ٦٤، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٨٤، غاية النهاية جـ ٢ ص ١٨٤، ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٨٥، لسان الميزان جـ ٥ ص ٢٣٢، وتاريخ بغداد جـ ٥ ص ٤٧٣.

(٤) هو أنس بن مالك بن النضر البخاري الخزرجي الأنصاري. ولد بالمدينة عام ١٠ ق. هـ/٦١٢ م وتوفي بالبصرة عام ٩٣ هـ/٧١٢ م. صاحب رسول الله وخادمه. روى الكثير من الأحاديث. راجعَ عن: الأعلام جـ ٢ ص ٢٤، طبقات ابن سعد جـ ٧ ص ١٠، تهذيب ابن عساكر جـ ٣ ص ١٣٩، صفة الصفوة جـ ١ ص ٢٩٨.

(٥) هو عباد بن بشر بن وقش الأشهلي الخزرجي الأنصاري. ولد قبل الهجرة وتوفي عام ١٢ هـ/٦٣٣ م. صحابي، شهد المشاهد مع النبي. راجع عنه الأعلام جـ ٣ ص ٢٥٧، تهذيب التهذيب جـ ٥ ص ٩٠، طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ١٧.

(٦) لم أعثر له على ترجمة، ولعله يقال له: أسيد بن حضير. راجع ترجمته في الأعلام جـ ١ ص ٣٣٠، طبقات ابن سعد جـ ٣ ص ١٣٥، تهذيب التهذيب جـ ١ ص ٣٤٧، وصفوة الصفوة جـ ١ ص ٢٠١، وسير النبلاء جـ ١ ص ٣٤٠.

(٧) هو حمزة بن عمرو بن عويمر بن الحارث الأسلمي. ولد قبل الهجرة وتوفي عام =

قال كنا مع النبي صلى الله تعالى عليـه وسلم في سفر فتفـرقنا في ليلة ظلمـاء فـاضآئت أصـابعي حتى جمعوا عليهـا ظهـرهـم ومـا هلك منهم وان أصـابعي لتنير.

ومنـه اعطاء مـوسى انفلاق البحـر[1] فقد أعـطى نبيّنا إنشقـاق القمـر[2]. فموسى تصرّف في عالـم الأرض ونبيّنا تصرّف في عالـم السماء، والفرق بينهما واضح.

ومنه إعطاء موسى تفجير المـاء من الحجارة[3]، فقـد أعطى نبيّنـاتفجير المـاء من بين أصابعـه[4]، وهذا أبلغ لأن الحجـر من جنس الأرض التي ينبـع منها الماء، ولم تجر العادة بنبع الماء من اللّحم.

ومنـه اعطاء مـوسى الكلام فقـد أعطى نبينـا مثله ليلة الاسراء مـع زياده الرّنو.

ومنه اعطاء هارون فصاحة اللسان فقد كان نبينـا من الفصاحـة والبلاغـة بالمحل الأفضل والموضع الذي لا يجهل.

ومنه إعطاء يوسف شطر الحسن فقد أعطى نبينا الحسن كلّه.

= ٦١ هـ/٦٨١ م صحـابي جليل، شهـد فتح افـريقيا. راجـع عنـه: الأعـلام جـ ٢ ص ٢٧٩، تهذيب الأسماء جـ ١ ص ١٦٩، معالم الإيمان جـ ١ ص ١٠٣.

(١) إشارة للآية الكريمة: ﴿فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق﴾ سـورة الشعراء آية ٦٣.

(٢) حديث إنشقاق القمر للنبي ﷺ روته كتب السِير والسنة، فقـد أخرجـه البخاري في صحيحـه جـ ٤ ص ١٨٦، وتفسيـر سورة القمـر جـ ٦ ص ٥٣. كذلـك رواه مسلم تحت رقم (٢٨٠٢) بـروايات عـديدة في كتـاب صفات المنـافقين باب انشقـاق القمر، وأحمـد في مسنـده جـ ١ ص ٣٧٧، ٤١٣، ٤٤٧، وجـ ٣ ص ٣٧٥. وأنـظر أيضاً السيـرة النبـويـة للذهبي ص ٢٠٩، دلائـل النبـوة للبيهقي جـ ٢ ص ٤٥، عيـون الأثـر جـ ١ ص ١١٤، وسيـرة ابن كثيـر جـ ٢ ص ١١٣.

(٣) إشارة للآية الكريمة: ﴿وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر﴾ سـورة البقرة آية ٦٠.

(٤) حديث تفجّر الماء من بين أصابع النبي ﷺ صحيح رواه البخاري في الأنبياء، بـاب علامـات النبوّة في الإسلام جـ ٤ ص ١٧٠، وفي المغازي وفي الأشربة، كذلك رواه مسلم في الإمارة رقم (١٨٥٦)، وأبو نعيم في دلائل النبوة جـ ٢ ص ٢١٤٤.

ومنه اعطاء يوسف تعبير الرؤيا، فالذي نقل عن نبينا من التعبير شيء كثير وقد ذكر منه في السير.

ومنه إعطاء داود تليين الحديد[1] فقد أعطى نبينا أن العود اخضرّ في يده وأورق ومسح صلى الله تعالى عليه وسلم ضرع شاة أم معبد الجرباء ورأسها فبرأت ودرّت[2].

ومنه إعطاء سليمان كلام الطير وتسخير الشياطين والريح والمُلك الذي لم يعطه أحد من بعده، فقد أعطى نبينا مثل ذلك وزيادة.أما كلام الطير فنبينا كلمّه الحجر[3] والضبي وشكى له البعير[4] وسبّح في كفه الحصى[5] وكلمته الشاة المسمومة[6] وكلمه الذئب[7] وغيره.

---

(١) إشارة للآية الكريمة: ﴿**يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد**﴾. سورة سبأ آية ١٠.

(٢) حديث مسح النبي ﷺ لشاة أم معبد الجرباء مما أجمعت عليه كتب السير والسنة. فقد رواه ابن سعد في الطبقات جـ ١ ص ٢٣٠، وابن هشام جـ ٢ ص ٢٢٥، ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ١١٧، ودلائل النبوة للبيهقي جـ ١ ص ٢٢٨، والمستدرك على الصحيحين للحاكم جـ ٣ ص٩، والاستيعاب لابن عبد البرّ، والسيرة النبوية للذهبي ص ٤٣٧ حيث أشار محقق الكتاب في أسفل الصفحة إلى جميع المراجع التي ورد فيها ذكر الحديث.

(٣) حول تسليم الحجر على النبي ﷺ انظر ما ورد في سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢٦٦، ونهاية الأرب جـ ١٦ ص ١٦٩، والذهبي في السيرة النبوية ص ١٢٩، والأحاديث المروية عن الرسول ﷺ كثيرة وكلها صحيحة، فقد ذكرها كل من مسلم والترمذي وابن سيد الناس في عيون الأثر.

(٤) حديث شكوى البعير للنبي أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٣٤٢) في كتاب الحيض، باب ما يستتر به لقضاء الحاجة. كذلك أخرجه أبو داود تحت رقم (٢٥٤٩) في الجهاد، وانظر السيرة النبوية للذهبي ص ٣٤٨.

(٥) حديث تسبيح الحصى في يد النبي ﷺ ذكره الذهبي في السيرة النبوية ص ٣٥٢، وبهامشه ذكر المحقق بعض الحواشي والمراجع التي ذكرت الحديث لا سيما كتاب فضائل الصحابة وغيرها فليرجع إليها لأهميتها.

(٦) خبر الشاة المسمومة رواه ابن سعد في الطبقات جـ ٢ ص ٢٠٢، الذهبي في السيرة ص ٥٢٣، كما رواه البخاري جـ ٥ ص ٨٣ في المغازي، باب الشاة التي سُمّت للنبي في خيبر، جـ ٣ ص ١٤١ في الهبة. كما رواه مسلم رقم (٢١٩٠) في السلام باب السمّ، وأبو داود في الديات في أكثر من رواية، وابن ماجة في الطب رقم (٣٥٤٦) باب السحر، وأحمد في المسند جـ ١ ص ٣٠٥ وابن هشام في السيرة النبوية جـ ٤ ص ٤٤ ومجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢٩٥ وغير ذلك من كتب السير والسنة.

(٧) حديث الذئب وتكليمه ذكر في الجامع الصحيح رقم (٢٢٧٢) في باب القدر، ما جاء في=

وأما الريح التي كانت غدوها شهراً ورواحها شهراً تحمله أين أراد فأعطي نبينا البراق[1] الذي هو أسرع من الريح فحمله من الفرش إلى العرش في ساعة زمانية. وأيضاً فالريح سخرت لسليمان لتحمله إلى نواحي الأرض، ونبينا زويت له الأرض حتى رأى مشارقها ومغاربها[2]. وفرق بين من يسعى إلى الأرض وبين من تسعى له الأرض.

وأما تسخير الشياطين فقد روى أن أبا الشياطين ابليس اعترض نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم وهو في الصلاة فأمكنه الله تعالى منه وربطه بسارية من سواري المسجد[3].

وخير من ذلك إيمان الجن به[4]، فسليمان استخدمهم ونبينا استسلمهم. وأما عدّ الجن من جنود سليمان في قوله تعالى: **﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن﴾**[5] فخير منه عدّ الملآئكة من جنود نبينا. وأما عدّ

= كلام السباع، وكذلك أخرجه أحمد جـ ٢ ص ٣٠٦، جـ ٣ ص ٨٣. وأبو نعيم في دلائل النبوة جـ ٢ ص ١٣٢، والذهبي في السيرة ص ٣٥١.

(١) حديث البراق ذكرته كتب السير والسنة، فقد ذكره الذهبي في السيرة النبوية ص ٢٥٢، ونص الحديث ذكره أحمد في مسنده جـ ٥ ص ٣٨٧، وكذلك الخصائص للسيوطي جـ ١ ص ١٥٨، كما تحدثت كتب الجرح والتعديل والسنة عن أوصاف البراق وأوصاف جبريل عليه السلام ليلة الأسراء والمعراج. فقد أخرج ذلك خلق كثير، ويمكن الرجوع إلى السيرة النبوية للذهبي ص ٢٥٤ حيث ذكر المحقق في هامش الصفحة جميع المراجع التي ذكرت ذلك، وكذلك ص ٢٦٦ من المرجع المذكور.

(٢) حول هذا الحديث انظر ما أخرجه مسلم تحت رقم (٢٨٨٩) في كتاب الفتن وأشراط الساعة. كذلك رواه الترمذي في الفتن رقم ٢٢٦٧، وأبو داود في الفتن والملاحم رقم (٢٣١٦)، وابن ماجة رقم (٢٩٥٢) وأحمد في المسند جـ ٤ ص ١٢٣، وكذلك أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ١ ص ٧، والسيرة النبوية للذهبي ص ٤٠٢.

(٣) أنظر في خبر ربط إبليس أو عفريت من الجن ما أخرجه البخاري في جـ ١ ص ٧٨ ـ ١١٩ في كتاب الصلاة، باب الاغتسال إذا أسلم وربط الأسير في المسجد.، وكذلك مسلم في المساجد مواضع الصلاة رقم (٥٤١)، وأحمد في مسنده جـ ٢ ص ٢٩٨ وعيون الأثر جـ ١ ص ١٣٦.

(٤) كما ورد في سورة الجن حكاية عن ايمان الجن بنبينا عليه السلام، آية رقم ١ ـ . وانظر تفصيل هذا الخبر في كتب الصحاح ما أخرجه مسلم في كتاب الصلاة رقم (٤٤٩)، والترمذي رقم (٣٣٧٩) تفسيرة سورة الجن، وعارضة الأحوذي لشرح صحيح الترمذي جـ ١٢ ص ١٤١ وص ٢٢٠، وأحمد في مسنده جـ ١ ص ٢٥٢، ٢٧٠، ٢٧٤ وص ٤١٦.

(٥) سورة النمل آية ١٧.

الطير من جملة اجناده فاعجب منه حمامة الغار. وأما ما اعطيه سليمان من الملك فنبينا خُيِّر بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار الثاني.

ومنه اعطاء عيسى ابرآء الاكمه والأبرص واحياء الموتى فقد أعطى نبينا انه ردّ العين الى مكانها بعد ما سقطت فعادت أحسن ما كانت. ونفث في عيني فديك[1] وكان لا يبصر بهما شيئاً فأبصر. وكان يدخل الخيط في الأبرة وانه لابن ثمانين سنة، وان عينيه لمبيضتان، رواه ابن أبي شَيبة[2] والبيهقي والطبراني[3] وأبو نعيم. وقد أحيا صلى الله تعالى عليه وسلم ابنة الرجل الذي قال له: لا أؤمن بك حتى تحيي لي أبنتي. كما روي قصته البيهقي في دلائل النبوّة.

هو فويك بقاء فؤاد قارئ عبدال هكذا ضبط وذكر حديثه مقطوعاً

وذكر القسطلاني[4] في المواهب جملة ممن حيي بعدما مات. وابرأ صلى الله تعالى عليه وسلم برص امرأة معاذ بن عفراء[5]. وأيضاً فقد سبح الحصا في كفه وسلم عليه الحجر وحن لفراقه الجذع وامّن لدعائه اسكفة الباب وحوائط البيت كما روى ذلك البيهقي وابن ماجة[6]، وذلك أبلغ من تكليم الموتى لأنه

---

(١) لم أعثر عليه في كتب التراجم. ولعله ابن أبي فديك كما ورد في بعض الأحاديث. انظر ترجمته في سير النبلاء جـ ٩ ص ٤٨٦ (١٨٠).

(٢) هو عبدالله بن محمد بن أبي شيبة العبسي الكوفي. ولد عام ١٥٩ هـ./٧٧٦ م وتوفي عام ٢٣٥ هـ/٨٤٩ م. حافظ للحديث له فيه كتب. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ١١٧، تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ١٨، تاريخ بغدا جـ ١٠ ص ٦٦ التهذيب جـ ٦ ص ٢.

(٣) هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي. ولد عام ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م وتوفي بأصبهان عام. ٣٦٠ هـ/٩٧١ م. من كبار المحدثين، وله عدد من التصانيف: راجع عنه: لإعلام جـ٣ ص ١٢١، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢١٥، النجوم الزاهرة جـ ٤ ص ٥٩، التهذيب جـ ٦ ص ٢٤٠.

(٤) هو الإمام محمد بن أحمد بن علي القيسي الشاطبي القسطلاني. ولد بمصر عام ٦٠١ هـ/١٢٠٤ م وتوفي بالقاهرة عام ٦٨٥ هـ/١٢٨٦ م. عالم بالحديث ورجاله له العديد من المصنفات. راجع عنه: الإعلام جـ ٥ ص ٣٢٣، طبقات الشافعية جـ ٥ ص ١٨، شذرات الذهب جـ ٥ ص ٣٩٧، النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣٧٣، حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٣٦، فوات الوفيات جـ ٢ ص ١٨١.

(٥) هو معاذ بن الحارث بن رفاعة بن سواد، ونسب إلى أمه (عفراء). من صحابة النبي الذين رووا عنه.توفي في زمن خلافة علي بن أبي طالب على المشهور أنظر الاستعياب جـ ٣ ص ١٤٠٨.

(٦) هو محمد بن يزيد الربعي القزويني. ولد عام ٢٠٩ هـ/٨٢٤ م وتوفى عام ٢٧٣ هـ/٨٨٧ م. =

من جنس ما لا يتكلم.

ومنه اعطاء ما تخفيه الناس في بيوتهم فقد أعطى نبينا من الأخبار بالمغيبات ما لا يحصى كما لا يخفى على من طالع كتب السير.

وأما ما أعطيه عيسى من رفعه إلى السماء فقط أعطى نبينا ذلك ليلة المعراج، وزاد في الترقي لمزيد الدرجات وسماع المناجاة[1] والحضوة في الحضرة القدسية بالمشاهدات.

وبالجملة فقد خص نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم من خصائص التكريم بما لم يكن لغيره من الأنبياء والرسل، وبمعجزات كمعجزاتهم، وزاد عليها بما يبهر العقل خرقاً وكثرة، وأكبرها القرآن. فهو آية نبينا الكبرى ومعجزته العظمى، وقد تحدى بما فيه من الإعجاز، ودعا المشركين الذين هم أفصح الفصحاء ومصاقع الخطباء إلى معارضته والاتيان بمثله، فكلّوا عنه وعجزوا عن الاتيان بشيء منه. ثم تحداهم بعشر سور منه ثم تحداهم بسورة منه: كما قال تعالى: **﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾**[2]. وقال تعالى: **﴿قل فأتوا بعشر سور منه مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين.فإن لم يستجيبوا لكم فأعلموا إنما أنزل بعلم الله﴾**[3]. وقال تعالى: **﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله﴾**[4]. إلى غير ذلك من الآيات فلما عجزوا عن معارضته والآتيان بسورة تشبهه، على كثرة الخطباء فيهم والبلغاء، نادى عليهم باظهار العجز واعجاز القرآن فقال: **﴿قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾**[5]. وقد كانوا أحرص شيء على إطفآء نوره وإخفآء نَوْرِه. فلو كان في مقدورهم معارضته لعدلوا إليها قطعاً للحجة، بل رضوا بتحكيم السيف في أعناقهم وسبى زراريهم وحرمهم واستباحة أموالهم، وقد

= إمام في الحديث وهو أحد الأئمة الستة. راجع عنه. الأعلام جـ ٧ ص ١٤٤، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٨٤، تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٥٣٠، تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص١٨٩.

(١) في الأصل المخطوط: المناجات، وهو مخالف لقواعد الرسم الإملائي.

(٢) سورة الطورآية ٣٤.

(٣) سورة هود آية ١٣ ـ ١٤.

(٤) سورة يونس سورة ٣٨.

(٥) سورة الإسراء آية ٨٨.

كانوا أأنف شيء وأشد حمية، فلو علموا ان الإتيان بمثله في قدرتهم لبادروا اليه لأنه كان أهون عليهم وأفسد لأمره وابلغ في تكذيبه وأسرع في تفريق اتباعه من بذل النفوس والخروج من الأوطان وإنفاق الأموال. وقد بينت بعض أوجه اعجازه في كتب التفاسير.

وهو خاتم النبيين كما قال تعالى: ﴿**ولكن رسول الله وخاتم النبيين**﴾[1]. وروى الشيخان والترمذي عن جابر[2] رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل إبتنى داراً فأكملها وأحسنها الا موضع لبنة وكان من دخل فنظر اليها قال ما أحسنها إلا موضع اللبنة ختم في الأنبياء.

وروى البخاري في صحيحه قال حدثنا محمد بن سنان[3] حدثنا سُلَيْم حدثنا سعيد بن ميناء[4] عن جابر بن عبدالله قال: قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم: مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأكلمها وأحسنها إلا موضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويتعجبون ويقولون لولا موضع اللبنة.

حدثنا قتيبة بن سعيد[5] حدثنا اسماعيل بن جعفر[6] عن عبدالله بن

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٠.

(٢) هو جابر بن عبدالله بن عمرو الخزرجي الأنصاري، ولد عام ١٦ ق. هـ/٦٠٧ م وتوفي عام ٧٨ هـ/٦٩٧ م. صحابي جليل، روى الكثير عن النبي ﷺ وروى عنه خلق كثير. راجع عنه: الأعلام جـ ٢ ص ١٠٤، الإصابة جـ ١ ص ٢١٣، تهذيب الأسماء جـ ١ ص ١٤٢.

(٣) هو محمد بن سنان أبو الحسن القزاز البصري. توفي حوالي عام ٢٧١ هـ/٨٨٤ م. محدث من أهل البصرة. مختلف في توثيقه. راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ١٥٣، العبر جـ ٢ ص ٤٨، التراث جـ ١ ص ٣٧٦.

(٤) هو الإمام سعيد بن مينا أبو الوليد الحجازي. من رواة الحديث، ثقة حافظ، راجع عنه سير النبلاء جـ ٥ ص ٢٤٥، طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٣١١، تهذيب التهذيب جـ ٤ ص ٩١، تاريخ الإسلام جـ ٤ ص ٢٥٢، الجرح والتعديل جـ ٤ ص ٦١.

(٥) هو قتيبة بن سعيد بن جميل الثقفي، أبو رجاء البغلاني. ولد بالعراق عام ١٥٠ هـ/٧٦٧ م وفيه توفي عام ٢٤٠ هـ/٨٥٥ م. من أكابر رجال الحديث. روى عنه البخاري ومسلم. راجع عنه: الإعلام جـ ٥ ص ١٨٩، تهذيب التهذيب جـ ٨ ص ٣٥٨.

(٦) هو إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري. ولد عام ١٣٠ هـ/٧٤٧ م وتوفي ببغداد عام ١٨٠ هـ/٧٩٦ م. قاريء أهل المدينة في عصره. راجع عنه: الأعلام جـ ١ ص ٣١٢، البداية والنهاية جـ ١٠ ص ١٧٥، تاريخ بغداد جـ ٦ ص ٢١٨ وغاية النهاية جـ ١ ص ١٦٣.

دينار[1] عن أبي صالح[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسـول الله ﷺ قال: «إن مثلي ومثـل الأنبيـاء من قبلي كمثـل رجـل بني بيتـاً فـأحسنـه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون ويتعجبـون له»ويقولون هـلا وضعت هذه اللبنة قال فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين.

وله رواية أخرى وهي ما روى الشيخـان والنسائي عن أبي هـريرة رضي الله عنـه أن النبي صلى الله تعالى عليـه وسلم قـال: «مثلي ومثـل الأنبيـاء من قبلي كمثل رجل بني بناءاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاويـة من زاوياه فجعل الناس يطوفون به ويتعجبون منه ويقولـون هلا وضعت هـذه اللبنة فـأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»[3].

وعيسى عليه السلام إذا نـزل من السماء الـدنيا يكـون من أمته وحـاكماً بشريعته تلقياً عنه أو اجتهاداً من كتابه وسنته[4]. وفضائل رسـول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ومناقبه لا تعد ولا تحصى، فكيف يسعه مثل هذا الكتاب.

---

(١) هو الإمام عبدالله بن دينار العـدوي العمري. تـوفي عام ١٢٧ هـ. من رواة الحـديث، حافظ ثقـة. راجع عنه: سير النبـلاء جـ ٥ ص ٢٥٣، تهـذيب التهـذيب جـ ٢ ص ١٤٢، تـاريـخ الإسـلام جـ ٥ ص ٢٦٥، تكرة الحفـاظ جـ ١ ص ١٢٦، ميـزان الاعتـدال جـ ٢ ص ٤١٧، شذرات الذهب جـ ١ ص ١٧٣.

(٢) هو أبو صالح السمان ذكوان بن عبدالله. توفي عـام ١٠١ هـ. من كبار الـرواة والحفاظ، ثقـة مأمون. انظر: سير النبلاء جـ ٥ ص ٣٦، طبقات ابن سعد جـ ٥ ص ٣٠١. الجرح والتعديل جـ ٣ ص ٤٥٠، تهذيب التهذيب جـ ١ ص ٢١٣، تـاريخ الإسـلام جـ ٤ ص ٢١٩، تذكـرة الحفاظ جـ ١ ص ٨٩.

(٣) تعـددت روايـات هـذا الحـديث كمـا ذكـر المؤلف. ويمكن الـرجـوع إلى كتب الصحـاح والمسـانيـد، فقـد رواه البخـاري في المنـاقب جـ ٤ ص ١٦٢/١٦٣. ومسلم (٢٢٨٦) في الفضائل، والترمذي في الأمثـال (٣٠٢٢)، وأحمد في المسنـد جـ ٥ ص ٧ وص ١٣، جـ ٣ ص ٩.

(٤) تـواترت الأحـاديث في نزول عيسى بن مـريم عليه السـلام من السماء، وأنـه يكـون حـاكمـاً بشريعة النبي محمد ﷺ. فمن ذلك مـا يرويـه أبو هـريرة رضي الله عنـه، أن النبي ﷺ قال: والـذي نفسي بيده ليـوشكن أن ينزل فيكم ابن مـريم حكمـاً مقسـطاً فيكسـر الصليب ويقتـل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحـد. »أنظر في ذلـك: عارضـة الأحوذي بشرح صحيح الترمذي جـ ٩ ص ٧٥ والشرح الكبير الـذي ذكره الإمـام ابن العربي المـالكي عليه. وقد ذكرت كتب الصحاح والمسانيد مثل هذا الحـديث وغيره فليـرجع إليهـا في أبواب الفتن ونزول عيسى وأحاديث الدّجال وغيرها.

أفضلية الرسول

وقـد احتلف العلمـاء في أنـه صلى الله تعـالى عليـه وسلم أفضلهم مجتمعين أم منفـردين. فذهب قـوم إلى الأفضلية مـطلقـاً، وآخـرون إلى أنـه أفضلهم منفردين. وأما كونهم مجتمعين ففضلهم يساوي فضله، عليه وعليهم أفضل الصلاة وأكمل السلام.

والحق دع ما ادعته النصارى في نبيهم ... واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شـرف ... وانسب إلى قدره ما شئت من عظم.

فـإن فضـل رسـول الله ليس لـه ... حـدّ فيعـرب عنـه نـاطق بـفـم

ولأهل الزمن في اشارات حروفه ما تبهر له العقول.

(وعبده)خبر إن، وهو في الأصل صفـة، ثم استعمـال الأسماء، وقدّم امتثالاً لما في الحديث الصحيح، «ولكنٍ قولوا عبدالله ورسـوله». ولأنـه أحب الأسمـاء إلى الله تعالى وأرفعهـا إليه جـلّ شأنـه. قـال الشيـخ أبـو علي الدقاق[1]: ليس للعبد صفة أتمّ ولا أشرف من العبوديـة، ولهذا أطلقهـا الباري سبحانه وتعـالى على نبيّه صلى الله تعـالى عليه وسلم في أشـرف المقامـات. قال تعالى: **﴿سبحـان الذي أسـرى بعبده﴾**[2]، **﴿الحمـد لله الذي أنـزل على عبـده الكتاب﴾**[3]، **﴿تبـارك الذي نـزّل الفرقـان على عبده ليكـون للعـالمين نـذيراً﴾**[4]، **﴿فـأوحى إلى عبده مـا أوحى﴾**[5]. وقد حقق أن عبـودية الـرسول أكمل من رسالته لكونها انصرافـاً من الخلق إلى الحق والرسـالة انصـراف من الحق إلى الخلق. ولان العبـد يتكفل مـولاه بإصـلاح شأنـه والرسـول يتكفـل باصلاح شأن الأمة. وقد ذكر الجـد[6] أعلى الله تعالى مقـامه في الجنـان، ان العبودية على ما نصّ عليه العـارفون أشـرف الأوصاف وأعلى المـراتب، وبها

---

(١) لم أعثر له على ترجمه، ولعله من المعاصرين للمؤلف أو قريب من ذلك.

(٢) سورة الإسراء آية ١.

(٣) سورة الكهف آية ١.

(٤) سورة الفرقان آية ١.

(٥) سورة النجم آية ١٠.

(٦) أي جدّ المؤلف وهو شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني الآلـوسي. ولد في بغـداد عام ١٢١٧ هـ/١٨٠٢ م وفيها توفي ١٢٧٠ هـ/١٨٥٤ م. محدث، مفسر، من المجـددين. ألف الكثيـر من التصانيف والمـوسوعـات. راجع عنـه: الأعـلام جـ٧ ص ١٧٦، أعـلام العـراق ص ٢١، جلاء العينين ص ٢٧، المسك الأذفر ص ٥ وأعيان البيان ص ٩٩.

يفتخر المحبون كما قيل: لا تَدْعُني إلّا بيا عَبدها فإنه أشرف أسمائي.

وقال آخر: بالله إن سألوك عني قل لهم عبدي وملكُ يدي وما أعتقته.

وعن أبي القاسم سليمان الأنصاري[1] انه قال: لما وصل النبي صلى الله تعالى عليه وسلم الى الدرجات العالية والمراتب الرفيعة أوحى الله تعالى اليه يا محمد: بم نشرفك. قال: بنسبتي إليك بالعبودية. فأنزل الله تعالى: ﴿**سبحان الذي أسرى بعبده**﴾.

وقيل إن التعبير به هنا سداً لباب الغلو دون حبيبه صلى الله تعالى عليه وسلم كما وقع للنصاري في نبيهم عليه السلام. وذكر أنه لم يعبر الله تعالى عن أحد بالعبد مضافاً إلى ضمير الغيبة المشار به الى الهوية[2] إلا عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم، وفي ذلك من الإشارة ما فيه. ومن تأمّل أدنى تأمّل في قوله تعالى: ﴿**سبحان الذي اسرى بعبده**﴾، وقوله تعالى: ﴿**ولما جاء موسى لميقاتنا**﴾[3]، ظهر له الفرق التام بين مقام الحبيب ومقام الكليم عليهما أفضل الصلاة وأكمل السلام.

هذا وفي رواية أخرى وهي رواية أمير المؤمنين عمر(بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وبها أخذ الشافعي رضي الله عنه، ﴿**وان محمداً رسول الله**﴾[4] بترك عبده واعادة الإسم الجليل، وإن كان مقتضى الإضمار كما لا

---

(١) هو سليمان بن ناصر بن عمران الأنصاري. توفي حوالي العام ٥١٢ هـ/١١١٨ م. فقيه شافعي، مفسر، من أئمة الزهد والتصوف. وضع بعض التصانيف. راجع عنه. الأعلام جـ ٣ ص ١٣٧، طبقات السبكي جـ ٤ ص ٢٢٢، كشف الظنون ص ١٢١٢.

(٢) يقصد المؤلف بهذه العبارة أنه لم يرد وصف الأنبياء في القرآن الكريم بلفظ (عبده) من إضافة لفظ (عبد) إلى الضمير (ه)(الموضوع لمعنى الغائب، إلا للنبي محمد ﷺ وفي ذلك شرف اختصاص، وهذه رؤية صوفية.

(٣) سورة الأعراف آية ١٤٣.

(٤) هذه الصيغة للرواية المذكورة إنما هي لابن عباس رضي الله عنه وليس لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب كما ظن المؤلف. ولذلك أخذ بها الإمام الشافعي، بينما أخذ مالك بن أنس برواية عمر، وقد حققت هذه المسألة في أول الكتاب عند الحديث عن تشهد ابن مسعود والصيغ التي ورد بها التشهد. وقد ذكرت هذه الصيغ مفصلة في كتاب: صفة صلاة النبي ﷺ، تأليف مخمد ناصر الدين الألباني، ص ١٧٢ ـ ١٧٧، منشورات المكتب الإسلامي، طـ ٦، بيروت، ١٣٩١ هـ.

يخفى، لأن مقتضى الحال أقتضى الاظهار وذلك إما لزيادة التمكين لأن في الإسم الظاهر تقليل الاحتمال، أو لأنه لما وقع الظاهر في غير موقعه كان كحدوث أمر غير متوقع، فأثر في النفس تأثيراً بليغاً وتمكن فيه زيادة تمكن، وهذا نظير قوله تعالى: ﴿**قل هو الله أحد، الله الصمد**﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿**وبالحق انزلناه وبالحق نزل**﴾[2]، في ذلك. وإما لإدخال الروع في الضمير أو تقوية داعي المأمور أي تقوية الشيء الذي يدعو المأمور الى الامتثال، لأن في سماع لفظ الله الجامع لجميع صفات اللطف والقهر ادخال روع وخوف في قلب السامع ما ليس في سماع الضمير. وفي التعبير عنه تعالى بهذا الأسم الجليل، المستجمع لما ذكر مع اقتضاء الذات، الإجابة للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ما لا يخفى من تقوية الداعي لها، فهو نظير قوله تعالى ﴿**فتوكل على الله**﴾[3] في ذلك. وأما لنكات أخر لا تخفى على من له حظ من علم المعاني.

وقد تبين أن رواية ابنه[4] رضي الله تعالى عنهما ادّل على علّو كعب النبي ودرجته صلىّ الله تعالى عليه وسلم.

والواو العاطفة فيها مذاهب. فقيل انها لمطلق الجمع لأنها تستعمل في الجمع بمعية وبغيرها، نحو جاء زيد وعمرو إذا جاء معه أو بعده أو قبله. فتكون حقيقة في القدر المشترك بين الثلاثة، وهو مطلق الجمع حذراً من الاشتراك والمجاز واستعمالها في كل منها من حيث أنه جمع استعمال حقيقي، وهو ما ذكره سيبويه في سبعة عشر موضعاً من كتابه. وهذا مذهب أبي حنيفة رحمه الله تعالى، وهو الذي صحّ عن الشافعي رحمه الله تعالى[5]. فإنه نص على إنه إذا قال: هذه الدار وقف على أولادي وأولاد أولادي انهم

---

(١) سورة الإخلاص آية ١ ـ ٢.

(٢) سورة الإسراء آية ١٠٥.

(٣) سورة آل عمران آية ١٥٩.

(٤) يقصد به عبدالله بن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما. وروايته الثابتة للتشهد هي: «أشهد أن لا إلّه إلا الله ـ قال ابن عمر: وزدت فيها: وحده لا شريك له ـ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله». رواه أبو داود والدارقطني وصححه.

(٥) يمكن الرجوع إلى ما ذكره ابن هشام الأنصاري في مغني اللبيب، جـ ٢ ص ٣٥٤ وما بعدها لمعرفة المواضع التي تستعمل فيها الواو بمعاني متعددة.

يشتركون فيه بخلاف: ثم أولاد أولادي. وإذا قال: إذا مت فسالم وغانم وخالد أحرار، وكان الثلث لا يفي إلا بأحدهم، فإنه يقرع. فلو كانت الواو عنده للترتيب لقال يَعْتِقُ سالم وحدَهُ.

وقيل إن دخلت بين آجزآء بينها ارتباط كانت للترتيب، كآية الوضوء[1]، أو أفعال لا إرتباط بينها نحو: أقيموا الصلاة واتوا الزكاة فلا، وهو قول أبي موسى[2] من الحنابلة، ورجَّحه بعض متأخريهم.

وقيل إنها تقتضي الترتيب في المفردات دون الجمل، حكاه ابن الخباز[3] عن شيخه. وفيها أقوال أخرى وأصحها الأول. وعبر ابن الحاجب عنها بانها للجمع المطلق. والتعبير الأول لابن السبكي[4] في جمع الجوامع، وتبعه غيره. قال الزركشي: وإنما عبّر به دون ما عبر به ابن الحاجب تنبيهاً على صواب العبارة، فإن الجمع المطلق هو الجمع الموصوف بالإطلاق، لاننا نفرق بالضرورة بين الماهية بلا قيد والماهية المقيدة ولو بقيد لا. والجمع الموصوف بالاطلاق لا يتناول غير صورة واحدة وهي قولنا مثلاً: قام زيد وعمرو، ولا يدخل فيه المقيد بالمعية ولا بالتقديم والتأخير لخروجهما بالقيد عن الإطلاق. وأما مطلق الجمع فعامّ في أيّ جمع كان سواء كان مرتباً أو غير مرتب فيدخل فيه الصور الثلاث. ونظيره قولهم مطلق الماء أو الماء المطلق.

والحق انهما بمعنى واحد كما هو اصطلاح الأصوليين، لأن المطلق هو الحقيقة بلا قيد كما صرّح به غير واحد من علماء الأصول وغيرهم. فالجمع المطلق حينئذ هو الجمع لا بقيد وذلك موجود في الجمع بقيد الترتيب وبقيد

---

(١) وهي قوله تعالى: ﴿يآيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ سورة المائدة آية ٦.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) هو أحمد بن الحسن بن أحمد الإربلي الموصلي. توفي عام ٦٣٩ هـ/١٢٤١ م. له عدة تصانيف. راجع عنه: الأعلام جـ ١ ص ١١٧، نكت الهميان ص ٩٦.

(٤) هو تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي. ولد بالقاهرة عام ٧٢٧ هـ/١٣٢٧ م وتوفي بدمشق عام ٧٧١ هـ/١٣٧٠ م. قاضي القضاة، مؤرخ، باحث. ترك الكثير من المؤلفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ١٨٤، جلاء العينين ص ١٦، الدرر الكامنة جـ ٢ ص ٤٢٥، حسن المحاضرة جـ ١ ص ١٨٢.

عدمه، ولا بقيد ضرورة وجود الأعم في الأخص، والجمع لا بقيد أعم منه بقيد فيلزم وجود الأول في الثاني. ثم قولنا مطلق الجمع معناه مطلق من الجمع. فأن كان الجمع المطلق يقتضي تقييد الجمع، فقولنا مطلق الجمع كذلك، فان التقييد بالاضافة والصفة سواء. فكيف يتعقل فرق بين قولنا هذا مطلق من الجمع الذي هو مدلول مطلق الجمع وقولنا جمع مطلق؟ وإنما جاء الالتباس من توهم أن الشيء المطلق هو الحقيقة بقيد لا وليس كذلك، بل هو الحقيقة لا بقيد.

والذي أوقع هذا في نفوسهم ما ألفوه في الفرق بين الماء المطلق ومطلق الماء وليس كذلك مما نحن فيه في شيء. فإن المطلق في قولنا الماء المطلق ليس هو المطلق في اصطلاح الأصوليين، بل هو اصطلاح شرعيّ على بعض أنواع الماء. فالفرق بينهما انما وقع من جهة أن «مطلق» من قولنا مطلق الماء لمعنى. والمطلق من قولنا: الماء المطلق لمعنى آخر بخلاف ما نحن فيه. وجرى على ذلك الشيخ بهاء الدين ابن السبكي[1] في شرح مختصر ابن الحاجب.

وقال بعض المحققين في عدم الفرق ان مطلق الجمع إنما معناه المقيد بالاطلاق من الجموع لأن الإضافة فيه على معنى من التبعيضية، فلا فرق بين أن تتأخر صفة الشيء أو تتقدم.

ولما أراد أن يفصّل على سبيل الاختصار المسند أي يذكره منفصلاً بعضه عن بعض، لأن بيان خصوص كل من المتعدّد مقصود عطفه بها، فقال: ورسوله بالإضافة إلى ضمير الغيبة المشار به للهوية.

معنى الرسول والرسالة

وهو[2] في اللغة المرسل لأنه في الأصل مصدر بمعنى الرسالة. قال الشاعر:

لقد كَذِبَ الواشونَ مافُهْتُ عندهم ... بقولٍ ولا أرسلتهم برسول

---

(١) هو أحمد بن علي بن عبد الكافي، بهاء الدين السبكي. ولد عام ٧١٩ هـ/١٣١٩ م. وتوفي بمكة عام ٧٦٣ هـ/١٣٦٢ م. فاضل من العلماء. له بعض المؤلفات. راجع عنه: الأعلام: جـ ١ ص ١٧٦، البدر الطالع جـ ١ ص ٨١، الدرر الكامنة جـ ١ ص ٢١٠.

(٢) أي الرسول. أنظر: لسان العرب، القاموس المحيط: مادة (رسل).

فلذلك ثُنّي وجمع وأفراد باعتبارات كما في: ﴿إنا رسول ربك﴾[1] أي موسى وهارون، ﴿ولقد جاءت رسلنا ابراهيم﴾[2]، ﴿انا رسول رب العالمين﴾[3] أي موسى وهارون.

وشرعاً إنسان أوحي اليه بشرع وأمر بتبليغه وان لم يكن له كتاب ولا نسخ لشرع من قبله على الأشهر[4]. ولذا كثرت الرسل وقلّت الكتب، وسيأتي بيان ذلك أن شاء الله تعالى.

والنبي إنسان أوحي اليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، فعلى هذا يكون أعم من الرسول وهو المشهور. وذكر المحلّي في شَرح جمع الجوامع معنيين آخرين وهما: أو أمر بتبليغه وان لم يكن له كتاب أو نسخ لبعض شرع من قبله كيوشع[5]، فإن كان له ذلك فرسول أيضاً. وعلى هذا تكون النسبة بينهما كما سبق أيضاً. والثاني انهما بمعنى واحد وهو معنى الرسول على الأول المشهور.

والصحيح ان الرسالة والنبوة فضل من الله تعالى وليستا بمكتسبتين خلافاً للفلاسفة[6]، حيث قالوا أن الانسان يكتسبها بالأخذ في الرياضات والتجنب عن اللذات والتحلي بالأخلاق الكريمة والتخلي عن الصفات الذميمة، إلى أن يصل إلى حالة يتمكن بها من سياسة نفسه وغيره، ويتهيأ لقبول الفيض. فإذا حصل له ذلك فاض عليه من العقل ما ينكشف لديه حقائق الأشياء، ويكون عنده من قوة النفس ما يظهر بها على يديه خوارق العادات فإنه باطل، فإنه فاعل لثبوت الفاعل المختار، ولا صفة ذاتية للرسول كما

---

(١) سورة مريم آية ١٩.
(٢) سورة هود آية ٦٩.
(٣) سورة الشعراء آية ١٦.
(٤) أنظر في ذلك: محمد على الصابوني: النبوة والأنبياء، ط ٢، مكة المكرمة (السعودية)، ١٤٠٠ هـ/ ١٩٨٠ ـ ص ١١ ـ ١٢.
(٥) وهو نبي الله اليسع أو (اليشع). وقد ورد ذكره في القرآن (سورة الأنعام آية ٨٦). ولم أعثر على ما ذكره المؤلف من أن اسمه يوشع. راجع عنه: النبوّة والأنبياء، ص ٣٠٠ ـ ٣٠١، وكذلك: العقيدة الإسلامية وأسسها، ص ٤٨٤ ـ ٤٨٨.
(٦) راجع: أعلام النبوة للماوردي، ص ٢٠ وما بعدها، وكذلك: تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري، ص ٢٨ ـ ٢٩.

ذهب إليه الكّراميّة[1] لاستوائه مع الخلق في نوع البشرية قال الله تعالى: ﴿**قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليَّ**﴾[2] الآية. وإنما هي راجعة إلى تخصيص الله تعالى عبداً من عباده بالوحي اليه واصطفائه لذلك[3].

والحكمة في ارسال الرسل والمصلحة المترتبة عليه القاء الحجة لقوله تعالى: ﴿**وما كنا معذبّين حتى نبعث رسولاً**﴾[4].

وأيضاً لما كان الانسان بحيث لا يستقل بأمر نفسه، وكان أمر معاشه لا يتم إلا بمشاركة آخر في ابناء جنسه، وبمعاوضة ومعارضة تجريان بينهما فيما يعنّ لهما مما يتوقف عليه اصلاح الشخص أو النوع، احتاج الى عدل يحفظه شرع يفرضه شارع مختص بآيات ظاهرة ومعجزات باهرة تدعو إلى طاعته وتحث على اجابته وتصدقه في مقالته، يوعد المسيء بالعقاب، ويعد المطيع بالثواب، ويبّين للناس ما يحتاجون اليه من أمور الدنيا والدين، فإنه تعالى خلق الجنة والنار وأعدّ فيهما الثواب والعقاب. وتفاصيل أحوالهما وطريق الوصول إلى الأول والاحتراز عن الثاني مما لا يستقل به العقل، وكذا علميّ الأجسام النافعة والضارة، ولم يجعل للعقول والحواس الإستقلال بمعرفتهما. وكذا جعل القضايا منها ما هي ممكنات لا طريق الى الجزم بأحد جانبيه. ومنها ما هي واجبات أو ممتنعات لا يظهر للعقل الا بعد نظر دائم وبحث كامل، بحيث لو اشتغل به لتعطل اكثر مصالحه. فكان فضل الله ورحمته ارسال الرسل لبيان ذلك. قال الله تعالى: ﴿**وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾[5]. وتمام الكلام في شرح طوالع الأنوار وغيره من كتب الكلام.

وعدّة الرسل ثلاثمائة وثلاثة عشر أو خمسة عشر والأنبياء مئة ألف

---

(١) الكرامِّيَّة هم أصحاب أبي عبدالله محمد بن كرام السجستاني (ت ٢٥٦ هـ)، كانوا يقولون بالتشبيه واثبات الصفات الإلّهية على معنى التجسيم. وقد ذكرهم المؤرخون للفرق الإسلامية، راجع في ذلك: المقريزي: الخطط جـ ٤ ص ١٨٣، ميزان الاعتدال للذهبي جـ ٣ ص ١٢٧، الملل والنحل جـ ١ ص ١٠٨، والفرق بين الفرق ص ٢٠٣.

(٢) سورة الكهف آية ١١٠.

(٣) وذلك نزولاً عند قوله تعالى: ﴿**الله أعلم حيث يجعل رسالته**﴾، (سورة الأنعام آية ١٢٤).

(٤) سورة الإسراء آية ١٥.

(٥) سورة الأنبياء آية ١٠٧.

وأربعة وعشرون ألفاً[١]. وقد وردت أحاديث كثيرة بذلك[٢]، وأولـوا العزم وهم أهل الجد والثبات والصبر خمسة على الصحيح، وهـو الذي اختـاره الجلال السيوطي في الاتقان، بل الصواب الذي عليه أكثر العلماء لقوله تعالى: ﴿**وإذ أخـذنـا من النبيين ميثاقهم ومنـك ومن نـوح وابـراهيم ومـوسى وعيسى إبن مريم**﴾[٣]. فقد ذكرهم الله تعالى في الآية على التخصيص. ولما رواه البزاز[٤] وإبن عساكر[٥] والحاكم في مستدركه وصححه عن أبي هريرة رضي الله تعـالى عنه عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال «خيار ولد آدم خمسـة: نـوح وإبـراهيم ومـوسى وعيسى ومحمـد»[٦]، وهـو يـدل على أفضليتهم على غيرهم أيضاً. وقد نظمهم بعض الفضلاء بقوله: محمد ابراهيم موسى كليمـه وعيسى ونوح هم أولو العزم.

ونظمهم أيضاً الجلال السيوطي عليه الرحمة فقال:

---

(١) حول عدة الرسل، أنظر ما ذكره الماوردي في: أعلام النبوة، (الباب الخامس في مـدة العالم وعدة الرسل) ص ٣٩ ـ ٥٣.

(٢) وردت عدة أحاديث عن النبي ﷺ، بعضها بالتصـريح وبعضهـا بالتلميـح. فمن ذلك مـا رواه الإمام أحمد في مسنده عن أبي ذرّ الغفاري رضي الله عنـه، قال: يـا رسول الله: أي الأنبيـاء كان أول؟ قال: آدم. قلت: يا رسول الله: ونبي كان؟ قال: نعم نبي مكلَّم. قلت: يا رسول الله: كم المرسلون؟ قال: ثلاثمائة وبضعة عشر جماً غفيراً.
وفي رواية أخرى عن أبي أمـامة، قـال أبو ذرّ: قلت: يـا رسول الله: كم وفـاء عدة الأنبيـاء؟ قال: مائة ألف وأربعة وعشـرون ألفاً، الـرسل من ذلـك ثلاثمـائة وخمسة عشر جمـاً غفيراً.
أنظر: مشكاة المصـابيح، الحـديث (٥٧٣٧) كذلـك روي هذا الحـديث من غير طـريق كما ذكره ابن حبان في صحيحه.

(٣) سورة الأحزاب آية ٧.

(٤) هو هارون بن حاتم التميمي من أهل الكـوفة. تـوفي حوالي العـام ٢٤٩ هـ/٨٦٣ م. مؤرخ، عالم بالقراءات والحديث. له بعض الأوراق الهامة في التاريخ. راجع عنـه: الإعلام: جـ ٨ ص ٦٠، ميـزان الاعتـدال جـ ٣ ص ٢٤٦، لسـان الميـزان جـ ٦ ص ١٧٧، طبقـات القـراء جـ ٢ ص ٣٤٥.

(٥) هـو الحـافظ علي بن الحسن بن هبـة الله ابن عسـاكـر الـدمشقي. ولـد بـدمشق عـام ٤٩٩ هـ/١١٠٥ م وفيها توفي عام ٥٧١ هـ/١١٧٦ م. حافظ، مؤرخ، محدث، ترك العـديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ٢٧٣، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٣٣٥، البداية والنهاية جـ ١٢ ص ٢٩٤، طبقات الشافعية جـ ٤ ص ٢٧٣، مفتاح السعادة جـ ١ ص ٢١٦، آداب اللغة جـ ٣ ص ٧٣ وغيرها.

(٦) أنظر في تخريج الحديث: مجمع الزوائد جـ ٨ ص ٢٥٥.

أولـو العـزم إبـراهيم مـوسى محمـد وعيسى ونـوح والصـواب المسـددا

فما وقع في القاموس وغيـره من أن أولي العزم نـوح وابراهيم واسحـاق ويعقوب ويوسف وأيـوب وموسى وداود وعيسى ومحمـد عليهم أفضل الصـلاة والسلام غير صحيح فلا يغتر به[1].

وقد اختلف في الأفضل منهم بعد محمد صلى الله تعـالى عليه وسلم، فقيل نوح لطول عبادته ومجاهدته. وقيل موسى لكـونه كليم الله ونجيّـه. وقيل عيسى لكونه روح الله وصفيّه.

والأرجح الذي اختاره الجلال السيوطي في شرح نظمه لجمع الجوامـع أن أفضلهم بعد محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ابراهيم عليه السلام لزيـادة توكله واطمئنانه. بل نقـل بعضهم الإجماع عليـه. وفي الصحيح خيـر البريـة ابـراهيم خُصّ منه نبينـا فبقي على عمومـه ثم موسى وعيسى ونـوح أفضل من سائر الأنبياء كما ذهب إليه العلقمي[2].

قال الجلال السيوطي في النقابـة: ولم نقف على ايّهم أفضل. والـذي يظهر تفضيل موسى ثم عيسى ثم نوح. ويؤيده قول الإمام فخر الدين الـرازي في أسـرار التنزيـل: لا نزاع في ان أفضـل الأنبياء والـرسل محمـد و ابراهيم وموسى وعيسى. (انتهى بلفظه).

قال العلاّمـة التفّتازاني في شـرح المقاصـد: وتفضيل النصـارى عيسى عليه السلام على الكل بأنه كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه طاهر مقـدس لم يخلق من نطفه، وقد ولدته سيّدة نساء العالمين المطهرة من الأدنـاس، وتربّى في حجـر الأنبيـاء والأوليـاء، وتكلم في المهـد بعبـودية نفسـه وربـوبيـة الله تعالى[3]، لم يخل زماناً من التوحيد والشـرايع ولم يلتفت إلى زخـارف الدنيـا ولـم يستمتع بلذاتها ولـم يدّخر قوت يوم ولـم يسـع في هلاك نفس أو سبيهـا أو استرقاقها ولا في أخذ مال وولد ولا إيـذاء لأحد. معجـزاته من إحيـاء الموتى

(١) أنظر القاموس المحيط، جـ ٤، ص ١٥٠، مادة (عزم).

(٢) هـو شمس الدين محمـد بن عبد الـرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي. ولـد بالقـاهرة عـام ٨٩٧ هـ/١٤٩١ م وفيها توفي عـام ٩٦٩ هـ/١٥٦١ م. فقيه شـافعي من أساتـذة الأزهر. لـه العديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ١٩٥، كشف الظنون ص ٥٦٠.

(٣) إشارة إلى قولـه تعالى حكـاية عن عيسى عليـه السلام عنـدما استهجن قـومه تكليمـه وهو في المهد فردّ عليهم: ﴿قال إني عبدالله﴾. (سورة مريم آية ٣٠).

وإبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك أبهر المعجزات وأشهرها، ثم هو في السماء من زمرة الأحياء. ونبوته مما اتفق عليه ذوو الآراء واعترف به خاتم الأنبياء مردود، إذ البعض من ذلك حجة لنا وشاهد لفضل نبينا كالولادة من المشركين والمشركات والتربي في حجرهم مع المواظبة على التوحيد والطاعات وكالإقبال على الجهاد وقمع المشركين وقهر أعداء الدين وكالقيام بمصالح نظام العالم مع الإستغراق في التوجه إلى جناب القدس. وأما اشتهار معجزاته تلك الشهرة فبإخبار من نبينا[1]. ومع ذلك فأين هي من معجزاته صلى الله تعالى عليه وسلم، وقد سبق شيء يسير منها. ثم الكون ميتاً في الأرض أنفع للأمة من الكون حياً في السماء حيث صارت الروضة المقدسة مهبطاً للبركات ومصعداً للدعوات وموطناً للاجتماع على الطاعات، إلى غير ذلك من أنواع الخيرات.

فما حملت من ناقة فوق ظهرها أبرّ ولو في ذمة من محمد

شمولية الرسالة

ورسالة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم الى الخلق كافة كما صحّ به الخبر الذي أخرجه مسلم[2]: «وأرسلت الى الخلق كافة الإنس والجن» إجماعاً ضرورياً فيكفر منكره.

واختلف في إرساله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الملائكة فقيل: إنه مبعوث اليهم ورجّحه جمع محققون منهم السبكي ومن تبعه، وردّوا على من خالف ذلك. وقيل لم يكن مبعوثاً إليهم وبه جزم الحليمي[3] والبيهقي والعراقي[4] والمحلّي[5]، وقال به من أئمتنا الحنفية محمود بن حمزة

(١) حول هذا الموضوع، راجع ما كتبه الماوردي في: أعلام النبوة ص ٧٦ وما بعدها وكذلك ما ذكره الذهبي في تاريخ الإسلام (السيرة النبوية) ص ٣٤١.

(٢) سيأتي تخريج هذا الحديث مفصلاً فيما بعد.

(٣) هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم الجرجاني. ولد بجرجان عام ٣٣٨ هـ/ ٩٥٠ م. وتوفي ببخارى عام ٤٠٣ هـ/١٠١٢ م. فقيه شافعي، قاض ومحدث. له بعض التصانيف. راجع عنه: الأعلام جـ ٢ ص ٢٣٥، الرسالة المستطرفة ص ٤٤.

(٤) هو الحافظ عبد الرحيم بن الحسن بن عبد الرحمن زين الدين. ولد عام ٧٢٥ هـ./ ١٣٢٥ م وتوفي بالقاهرة عام ٨٠٦ هـ/١٤٠٤ م. من كبار حفاظ الحديث. له الكثير من المؤلفات في مختلف الفنون والعلوم الدينية. راجع عنه: الأعلام جـ ٣ ص ٣٤٤، الضوء اللامع جـ ٤ ص ١٧١، غاية النهاية جـ ١ ص ٣٨٢، حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٠٤.

(٥) هو جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي. ولد بالقاهرة عام=

الكرماني[1]، ونقل النسفي[2] والرازي الاجماع عليه وصريح آية: ﴿**ليكون للعالمين نذيراً**﴾[3]، إذا العالم ما سوى الله تعالى. وخبر مسلم المارّ يؤيّد القول الأول. وكذا في إرساله الى بقية المخلوقات. وممن اختار ذلك البارِدي[4] حيث قال: إنه ارسل حتى للجمادات بعد جعلها مدركة.

قال العلامة ابن حجر الهيثمي[5]: وفائدة الإرسال للمعصوم وغير **المكلف طلب إذعانهما لشرفه ودخولهما تحت دعوته واتباعه تشريفاً له على** سائر المرسلين.

وعلى ذلك جرى بعض الصوفية حيث قالوا إنه مبعوث إلى كل موجود إنساناً كان أو جنياً أو ملكاً أو عنصراً أو فلكاً أو غيرها. فإن كل موجود عندهم عبد لله وله عبادة لقوله تعالى: ﴿**وان كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً**﴾[6] وقوله تعالى: ﴿**وان من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم**﴾[7]. وكلامهم في ذلك طويل لا يسعه مثل هذا الموضع.

= ٧٩١ هـ/١٣٨٩ م. وفيها توفي عام ٨٦٤ هـ/١٤٥٩ م. أصولي، مفسّر. مدحه العلماء ووضع العديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٥ ص ٣٣٣، حسن المحاضرة جـ ١ ص ٢٥٢، شذرات الذهب جـ ٧ ص ٣٠٣، الضوء اللامع جـ ٧ ص ٣٩.

(١) هو محمود بن حمزة بن نصر برهان الدين الكرماني. توفي حوالي العام ٥٠٥ هـ/١١١٠ م. عالم بالقراءات. راجع عنه: الأعلام جـ ٧ ص ١٦٨، غاية النهاية جـ ٢ ص ٢٩١، ارشاد الأريب جـ ٧ ص ١٤٦، الاتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ٢٢١، مفتاح السعادة جـ ١ ص ٤٢١، هدية العارفين جـ ٢ ص ٤٠٢.

(٢) هو الإمام عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل نجم الدين النسفي. ولد عام ٤٦١ هـ/١٠٦٨ م. وتوفي عام ٥٣٧ هـ/١١٤٢ م. عالم بالتفسير والأدب والتاريخ. فقيه حنفي. له العديد من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٥ ص ٦٠، لسان الميزان جـ ٤ ص ٣٢٧، ارشاد الأريب جـ ٦ ص ٥٣، الجواهر المضية جـ ١ ص ٣٩٤.

(٣) سورة الفرقان آية ١.

(٤) لم أعثر على ترجمة لهذا الإسم، ولعله يقال له: البارزي. انظر عنه: سير النبلاء جـ ٢٠ ص ٤٦٨.

(٥) هو أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيثمي الأنصاري (شهاب الدين شيخ الإسلام). ولد بمصر عام ٩٠٩ هـ/١٥٠٤ م. وتوفي بمكة عام ٩٧٤ هـ/١٥٦٧ م. فقيه باحث. له تصانيف كثيرة. راجع عنه: الأعلام جـ ١ ص ٢٣٤، آداب اللغة جـ ٣ ص ٣٣٤، دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ١٣٣، وخلاصة الأثر جـ ٢ ص ١٦٦.

(٦) سورة مريم آية ٩٣.

(٧) سورة الإسراء آية ٤٤.

قال جمع من المحققين: إن عموم بعثته صلى الله تعالى عليه وسلم خاصة في الصحيحين عنه صلى الله تعالى عليه وسلم أنه قال: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي. قال: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي واعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة»[1]. وفي حديث جابر وغيره: «وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث الى كل أحمر وأسود»[2]. وقد اختلف في ذلك: فقيل الأسود العرب لأن الغالب على ألوانهم الأدمة والحمر العجم. وقيل البيض والسود من الأمم. وقيل الحمر الأنس والسود الجن. وغيره من الرسل لم يرسل الى الجنّ كما قاله الحليمي، وروي عن ابن عباس أيضاً.

وما ورد مما يدل على ارسال غيره اليهم محمول على التبرع من غير تكليف. وإنما قول بعض اليهود وبعض النصارى انه رسول الى العرب خاصة فظاهر البطلان. فإنهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال إنه رسول الله إلى الناس عامة. والرسول لا يكذب فلزم تصديقه حتماً.

ولا يرد عموم بعثة نوح بعد الطوفان لأنه لم يكن في أصل البعثة بل لما حدث من الأنحصار. ولو أدعى أحد عموم بعثته قبل الغرق متمسكاً بأن الله

---

(١) الحديث يرويه جابر بن عبدالله الأنصاري رضي الله عنه، وأخرجه بلفظ البخاري في أول باب التيمم جـ ١ ص ٧٠، ومسلم في المساجد جـ ٢ ص ٦٣ ـ ٦٤، والنسائي في التيمم جـ ١ ص ٢٠٩ ـ ٢١١.
كذلك روي هذا الحديث بصيغ كثيرة، فقد ذكرها البخاري من طريق أبي هريرة في الجهاد والسير جـ ٤ ص ١٢، باب قول النبي ﷺ: نصرت بالرعب مسيرة شهر.. وفي الصلاة جـ ١ ص ١١٣، وفي التعبير جـ ٨ ص٧٢، وفي الاعتصام جـ ٨ ص ١٣٨. كما أخرجه مسلم في مواضع الصلاة رقم(٥٢١: و(٥٢٣)، كذلك رواه الترمذي في السير رقم (١٥٩٤) والنسائي في الغسل والجهاد جـ ٥ ص ٣ ـ ٤، والدارمي في السير رقم ٢٩، وأحمد في مسنده في مواضع كثيرة منها: جـ ١ ص ٩٨، ٣٠١، وجـ ٢ ص ٢٢٢، ٢٦٤، ٢٦٨، ٣١٤، ٣٩٦، ٤١٢، ٤٥٥، ٤٠١، جـ ٣ ص ٣٠٤، وجـ ٤ ص ٤١٦، وجـ ٥ ص ١٤٥، ١٤٨، ١٦٢، ٢٤٨، ٢٥٦.

(٢) راجع في تخريج هذا الحديث ما ذكرناه في تخريج الحديث السابق.

قد أغرق بالطوفان جميع أهل الأرض إلا نوحاً ومن معه، وقد قال تعالى: ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾[1]. فكيف عذب جميع أهل الأرض بالإغراق إلا أهل السفينة دون أن يبعث رسولا إذا لم يكن نوح مرسلاً إليهم يجاب بوجوه:

الأول أن المراد نفي عذاب الآخرة وإن سلم اراده نفي عذاب الدنيا أيضاً فالمراد نفي العذاب قبل الإرسال الذي تقوم به الحجّة عليهم، وإن لم يكن إرسالاً، بل الرسول إذا بلّغ قومه عن الله تعالى بدعائه إياهم إلى توحيده وعبادته، انتهض تبليغه إياهم حجة على جميع من وصل اليه أنه بلّغ قومه، ذلك لأن إعلام الأنبياء باهرة، فكما لا يعذر من شاهدها ولم يؤمن وزعم أنه يستدل كذلك من سمع خبرها بالبلاغ المطبق الذي لا يحتمل الكذب، كما ذكر ذلك العلماء. وإلى هذا نحا ابن عطية[2] في تفسير سورة هود وقال: وغير ممكن أن نبوته لم تبلغ القريب والبعيد لطول مدته. ووجهه ابن دقيق العيد[3] بأن توحيد الله تعالى يجوز أن يكون عاماً في حق بعض الأنبياء وإن كان التزام فروع شريعته ليس عاماً، لأن منهم من قاتل غير قومه على الشرك، ولو لم يكن التوحيد لازماً لهم لم يقاتلهم.

وشريعة نبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أوسط الشرائع إذ لا غلّو فيها ولا تقصير كشريعتي موسى وعيسى عليهما السلام. وقد حكم الله بان دين نبينا أحسن الأديان فقال: ﴿ومن أحسن ديناً ممن أسلم وجهه لله وهو محسن

---

(١) سورة الإسراء آية ١٥.

(٢) هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الغرناطي. ولد عام ٤٨١ هـ/١٠٨٨ م وتوفي عام ٥٤٢ هـ/١١٤٨ م. مفسر، فقيه وعالم بالحديث. وُلّيَ قضاء المرية. ومن تصانيفه: الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المجموع وغيرها. راجع عنه: الأعلام جـ ٣ ص ٢٨٢، نفح الطيب جـ ١ ص ٥٩٣ قضاة الأندلس ص ١٠٩، بغية الملتمس ص ٣٧٦، بغية الوعاة ص ٢٩٥.

(٣) هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع، تقي الدين القشيري، ولد بمصر عام ٦٢٥ هـ/١٢٢٨ م وتوفي بالقاهرة عام ٧٠٢ هـ/١٣٠٢ م. من أكابر العلماء بالأصول. مجتهد، تولى القضاء بمصر حتى وفاته، له العديد من التصانيف، راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ٢٨٣، مفتاح السعادة جـ ٢ ص ٢١٩، الدرر الكامنة جـ ٤ ص ٩١، شذرات الذهب جـ ٦ ص ٥، فوات الوفيات جـ ٢ ص ٢٤٤.

واتّبع ملّة ابراهيم حنيفاً﴾[1]. ولا أحسن من حكمه تعالى ولا أصدق منه قيلاً. فشريعة نبينا أكمل من جميع شرائع الأمم المتقدمة، وهذا مما لا يحتاج إلى بيان.

فانظر إلى شريعة موسى، فقد كانت شريعة جلال وقهر. أمروا بقتل نفوسهم وحرمت عليهم الشحوم وذوات الظفر وغيرها من الطيبات، وحرمت عليهم الغنائم، وعجل لهم من العقوبة ما عجل وحملوا من الأصرار ما لم يحمله غيرهم. وكان موسى من أعظم خلق الله هيبة وأشدهم بأساً وغضباً لله وبطشاً باعداء الله.

وعيسى كان في مظهر الجمال وكانت شريعته شريعة فضل واحسان. وليس في شريعته قتال البتة، وليس فيها مشقة ولا إصرار ولا اغلال.

وأما نبينا محمد فكان مظهر الكمال الجامع لتلك القوة والعدل والشدة في الله واللين والرحمة. فشريعته اكمل الشرائع، ولذلك تأتي شريعته بالعدل إيجاباً له وفرضاً، وبالفضل ندباً له واستحباباً، وبالشدة في موضع الشدة، وباللين في موضع اللين، ووضع السيف موضعه ووضع الندى موضعه. فيذكر الظلم فيحرمه والعدل ويأمر به والفضل ويندب إليه. حرَّم عليهم كل خبيث وضّار واباح لهم كل طيب ونافع. فلله الحمد الذي أنقذنا بمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم من تلك الظلمات واغنانا بشريعته التي تدعو الى الحكمة والموعظة الحسنة وتتضمن الأمر بالعدل والاحسان والنهي عن الفحشاء والمنكر والبغي. فله المنة والفضل على ما أنعم به علينا، وآثرنا به على سائر الأمم.

أنواع الكفار

ومما ينبغي أن يعلم ان الكفّار خمسة أصناف:

منهم من ينكر الصانع كالدُّهرية[2] وهم الذين نسبوا التصرّف للدهر لقولهم: «وما يهلكنا الا الدهر»[3].

---

(١) سورة النساء آية ١٢٥.

(٢) هم فرقة من العرب أنكرت الخالق والبعث والإعادة. وتحدث عنهم القرآن الكريم في أكثر من آية. انظر عنهم: الملل والنحل للشهرستاني ص ٢٣٥ وما بعدها، ط ١، دار ناصر للثقافة، بيروت، ١٩٨١.

(٣) سورة الجاثية آية ٢٤.

ومنهم من ينكر الوحدانية كالثنوية[1] وهم المجوس القائلون بآلهين. وحقق ابن كمال[2] نقلاً عن الآمدي أنهم غيرهم، مع مشاركة الكل في اعتقاد ان أصل العالم النور والظلمة. والأول يسمى بيزدان وشأنه خلق الخير والثاني باهر من وشأنه خلق الشر.

ومنهم من يُقرُّ بهما لكن ينكر بعثة الرسل كالفلاسفة[3]، وان كان منهم من يثبت الرسل على أبلغ وجه لقولهم بالايجاب، أي باللزوم والتوليد لا بالاختيار لإنكارهم كونه تعالى مختاراً، وينكرون كونها بنزول الملك من السماء، وكثيراً مما علم بالضرورة مجيء الأنبياء به كحشر الأجساد والجنة والنار. والحاصل انهم وان اثبتوا الرسل، لكن لا على الوجه الذي يثبته أهل الإسلام، فصار إثباتهم بمنزلة العدم.

ومنهم من ينكر الكل كالوثنية[4] إلا أن بعض العلماء أدرجهم مع الثنوية. قال في شرح السير: وعبدة الأوثان كانوا يقرّون بالله تعالى، قال تعالى: **﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولُنّ الله﴾**[5]. ولكن كانوا لا يقرون بالوحدانية، قال تعالى: **﴿وإذا قيل لهم لا إلَه إلا الله يستكبرون﴾**[6].

---

(١) هم أصحاب الإثنين الأزليين، وينكرون بالتالي عقيدة التوحيد. وهم خمس فرق هي: المانوية، المزدكية، الدّيصانية، المَرْقيُونية، الكَيْنَويَّة والصِّيَامِيَّة والتَّناسُخِيَّة. راجع عنهم بالتفصيل ما ذكره الشهرستاني في الملل والنحل، ص ١١٥ ـ ١٢٠. كذلك راجع: يحيى حسن فرغل: عوامل وأهداف نشأة علم الكلام في الإسلام، ص ١٨١ ـ ١٩٧، علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ١ ص ١٨٩ ـ ١٩٨.

(٢) لعله الكمال بن الهمام (الكمال بن أبي شريف) وقد سبق التعريف به من قبل.

(٣) أنظر ما ورد في تفصيل المسألة، ما ذكره الماوردي في: أعلام النبوّة، ص ٢٠ ـ ٣٩. وانظر كذلك مذاهب الفلاسفة وعقائدهم كما ذكرها الشهرستاني في الملل والنحل ص ١٥٣ ـ ١٩٨، والنشار في نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ١ ص ١٠٢ ـ ١٨٤.

(٤) عن الوثنية وتطورها وعقائدها، انظر ما ذكره المقدسي في البدء والتاريخ جـ١ ص ٢٢ وما بعدها وكذلك جـ١ ص ١٤٣، جـ٤ ص ٣١ وما بعدها. الملل والنحل ص ١٢٥ ـ ١٤٦، النشار في نشأة الفكر الفلسفي جـ١ ص ١٩٨، عمر فروخ في: تاريخ الجاهلية ص ١٥٩. وسماحة المفتي حسن خالد في: موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية، ص ١٧ ـ ٢٠٦، والفرد جيوم في: الإسلام، ص ١٥ وما بعدها، وابن الجوزي في تلبيس إبليس، ص ٢٧ وما بعدها.

(٥) سورة الزخرف آية ٨٧.

(٦) سورة الصافات آية ٣٥.

ومنهم من يقرّ بالكلّ لكن ينكر عموم رسالة المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم كالعيسوية[1] وهم قوم من اليهود ينسبون إلى عيسى الأصفهاني اليهودي[2]. قال صاحب البدائع: وقوم من النصارى في العراق يقال لهم عيسوية أيضاً، فيكتفي في الصنف الأول والثاني بالشهادة الأولى عن أشهد أن لا إلّه إلا الله لأنهم يمتنعون عنها، فإذا أقروّا بها كان ذلك دليل إيمانهم. وقال صاحب البدائع: وكذلك إذا أتى بالشهادة الثانية فقط أعني: أشهد أن محمداً رسول الله، لأنهم يمتنعون عن كل واحدة من كلمتي الشهادة: فكأن الاتيان بكل واحدة منهما إتيان بالأخرى، والإيمان باحداهما إيمان بالأخرى.

وهذا صريح في ان الثنوية ينكرون الرسالة، فهم كالوثنية فيكتفي بالكل بإحدى الشهادتين.

وفي الثالث بقول أشهد ان محمداً رسول الله، فلو قال لا إلّه إلا الله، لا يحكم بإسلامه لأنه منكر الرسالة، ولا يمتنع عن هذه المقالة. والكافر اذا لم يقرّ بخلاف ما اعتقد لم يحكم بإسلامه.

وفي الرابع باحداهما لما سبق في القسمين الأوّلين من الأكتفاء بإحدى الشهادتين عن الأخرى إذ حكمه حكمهما كما هو المحقق.

وفي الخامس بالشهادتين مع التبرّي عن كل دين مخالف لدين الإسلام. وذكر ابن الهمام في المسايرة ان اشتراط التبرّي لإجراء أحكام الإسلام عليه لا لثبوت الإيمان فيما بينه وبين الله تعالى، وفيه أقوال أخرى. والذي أفتى به علماؤنا صحته بالشهادتين بلا تبرّي لأنّ التلفظ بهما صار علامة على الإسلام[3].

---

(١) راجع عنهم: الملل والنحل ص ٩٧.

(٢) قيل إن اسمه عوفيد ألوهيم، أي عابد الله، كان في زمن المنصور، وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني أمية: مروان بن محمد، فاتبعه بشر كثير من اليهود وادعوا أنه له آيات ومعجزات وقد كان يزعم أنه نبي وأنه رسول المسيح المنتظر وأنه واحد من خمسة يأتون قبل عيسى واحداً بعد واحد، وأن الله كلمه وكلفه أن يخلص بني اسرائيل من أيدي الأمم العاصين والملوك الظالمين. قتل بالريّ مع أصحابه على يد جيش المنصور: انظر عنه: الملل والنحل ص ٩٧. وكذلك انظر: د. شعبان محمد، اسماعيل: نظرية النسخ في الشرائع السماوية، ص ٢٧ ـ ٢٨.

(٣) أنظر تفصيل ذلك في المسايرة للكمال بن الهمام، ص ٣١٩ وما بعدها.

تنبيه

وأعلم أن اقتران اسم النبي صلى الله تعالى عليه وسلم مع اسمه عزّ وجل في كلمتي الشهادة مما يدل على رفعة قدره صلى الله تعالى عليه وسلم، وكيف لا وقد قال تعالى: ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾[1]. روي عن مجاهد[2] وقتادة[3] ومحمد بن كعب[4] والضحاك[5] والحسن[6] وغيرهم أنهم قالوا في ذلك لا أُذْكَرُ إلا ذُكِرْتَ معي، وفيه حديث مرفوع، أخرج أبو يعلى[7] وابن جرير[8].

---

(١) سورة الإنشراح آية ٤.

(٢) هو مجاهد بن جبر أبو الحجاج المكي. ولد عام ٢١ هـ/٦٤٢ م. وتوفي عام ١٠٤ هـ/٧٢٢ م. تابعي، من شيوخ القراءة، والتفسير، أخذ عن ابن عباس. انظر: الأعلام جـ ٥ ص ٢٧٨، طبقات الفقهاء ص ٤٥، غاية النهاية جـ ٢ ص ٤١، صفة الصفوة جـ ٢ ص ١١٧، وحلية الأولياء جـ ٣ ص ٢٧٩.

(٣) هو قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري الأوسي. توفي بالمدينة عام ٢٣ هـ/٦٤٤ م. صحابي جليل، شهد المشاهد مع رسول الله. راجع عنه: الأعلام جـ ٥ ص ١٨٩، صفة الصفوة جـ ١ ص ١٨٣. اللباب جـ ٢ ص ١٠٠.

(٤) هو محمد بن كعب بن سليم القرظي. اختلف في سنة وفاته وقيل عام ١٠٨ هـ. من كبار المحدثين والرواة. ثقة ورع وعالم. راجع عنه: سير النبلاء جـ ٥ ص ٦٥، الجرح والتعديل جـ ٨ ص ٦٧، حلية الأولياء ج ٣ ص ٢١٢، تاريخ الإسلام جـ ٤ ص ١٩٩، تهذيب التهذيب جـ ٩ ص ٤٢٠، البداية والنهاية جـ ٩ ص ٢٥٧، شذرات الذهب جـ ١ ص ١٣٦.

(٥) هو الضحاك بن عثمان الضحاك بن عبدالله الأسدي القرشي. توفي بمكة عام ١٨٠ هـ. علامة قريش بأخبار العرب وأيامها وأشعارها في المدينة. راجع عنه: الأعلام جـ ٣ ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٦) هو الحسن بن يسار البصري. ولد بالمدينة عام ٢١ هـ/٦٤٢ م وتوفي بالبصرة عام ١١٠ هـ/٧٢٨ م. تابعي، إمام البصرة، فقيه ومجتهد. راجع عنه: الأعلام جـ ٢ ص ٢٢٦، وميزان الاعتدال جـ ١ ص ٢٥٤، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٥٤، حلية الأولياء، جـ ٢ ص ١٣١.

(٧) هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن الفراء (أبو يعلى). ولد عام ٣٨٠ هـ/٩٩٠ م وتوفي عام ٤٥٨ هـ/١٠٦٦ م. عالم عصره في الأصول والفروع وأنواع الفنون. ارتفعت مكانته عند الخلفاء العباسيين حتى وُلِّيَ قضاء دار الخلافة. ترك الكثير من المصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ٩٩، طبقات الحنابلة جـ ٢ ص ١٩٣، تاريخ بغداد جـ ٢ ص ٢٥٦، شذرات الذهب جـ ٣ ص ٣٠٦ والوفي بالوفيات جـ ٣ ص ٧٥.

(٨) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري. ولد بطبرستان عام ٢٢٤ هـ/٨٣٩ م. وتوفي ببغداد عام ٣١٠ هـ/٩٢٣ م. مؤرخ، مفسر وإمام. له الكثير من المؤلفات. راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ٦٩، تاريخ بغداد جـ ٢ ص ١٦٢، تذكرة الحفاظ ص ٢ ص ٣٥١، البداية والنهاية جـ ١١ ص ١٤٥ وطبقات السبكي جـ ٢ ص ١٣٥.

وابن المنذر[1] وابن أبي حاتم[2] وابن حبان[3] وابن مردويه[4] وأبو نعيم[5] في الدلائل عن أبي سعيد الخدريّ[6] عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال: «أتاني جبريل عليه السّلام وقال ان ربّك يقول: أتدري كيف رفعت ذكرك. قلت: الله تعالى أعلم. قال: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ معي»[7]. وكأن ذلك من الاقتصار على ما هو أعظم قدراً من إفراد رفع الذكر. ويشير إلى عظم قدره قولُ حسان[8]:

---

(١) هو محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري. ولد عام ٢٤٢ هـ/٨٥٦ م وتوفي بمكة عام ٣١٩ هـ/٩٣١ م. فقيه، مجتهد، محدث. وضع الكثير من التصانيف. راجع عنه: الأعلام جـ ٥ ص ٢٩٤، تذكرة الحفاظ جـ ٣ ص ٢٤، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٤٦١، طبقات الشافعية جـ ٢ ص ١٢٦، لسان الميزان جـ ٥ ص ٢٧ وغيرها.

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد أبي حاتم بن إدريس بن المنذر الرازي. ولد عام ٢٤٠ هـ/٨٥٤ م وتوفي عام ٣٢٧ هـ/٩٣٨ م. حافظ للحديث. له الكثير التصانيف راجع عنه: الأعلام جـ ٣ ص ٣٢٤، تذكرة الحفاظ جـ ٣ ص ٤٦، طبقات الحنابلة جـ ٢ ص ٥٥، فوات الوفيات جـ ١ ص ٢٦٠ وغيرها.

(٣) هو محمد بن حبان أحمد بن معاذ التميمي. توفي عام ٣٥٤ هـ/٩٦٥ م. له تصانيف عديدة، مؤرخ، جغرافي، محدِّث، راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ٧٨، معجم البلدان جـ ٢ ص ١٧١، شذرات الذهب جـ ٣ ص ١٦، تذكرة الحفاظ جـ ٣ ص ١٢٥، ميزان الاعتدال جـ ٣ ص ٣٩، طبقات السبكي جـ ٢ ص ١٤١ وغيرها.

(٤) هو أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني. ولد بأصبهان عام ٣٢٣ هـ/٩٣٥ وفيها توفي عام ٤١٠ هـ./١٠١٩ م. حافظ، مؤرخ، مفسر. راجع عنه: الأعلام جـ ١ ص ٢٦١، تذكرة الحفاظ جـ ٣ ص ٢٣٨، شذرات الذهب جـ ٣ ص ١٩٠.

(٥) هو أحمد بن عبدالله بن أحمد الأصبهاني. ولد بأصبهان عام ٣٣٦ هـ/٩٤٨ وفيها توفي عام ٤٣٠ هـ/١٠٣٨ م. حافظ، مؤرخ من الثقات في الحفظ والرواية. ترك الكثير من مصنفات. راجع عنه: الأعلام جـ ١ ص ١٥٧، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٥٢، لسان الميزان جـ ١ ص ٢٠١، طبقات الشافعية جـ ٣ ص ٧ وغيرها.

(٦) هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي. ولد قبل الهجرة بعشرة أعوام وتوفي بالمدينة عام ٧٤ هـ/٦٩٣. صحابي جليل، لازم النبي وروى عنه. أنظر: الأعلام جـ ٣ ص ٨٧، تهذيب التهذيب جـ ٣ ص ٤٧٩، صفة الصفوة جـ ١ ص ٢٩٩، حلية الأولياء جـ ١ ص ٣٦٩ وغيرها.

(٧) هذا الحديث ذكرته كتب التفاسير عند شرح قوله تعالى: **﴿ورفعنا لك ذكرك﴾**. ونصّ الطبري على أنه حديث صحيح. انظر: مختصر تفسير الطبري جـ ٢ ص ٥٤٥ (تفسير سورة الأنشراح).

(٨) هو حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري. توفي بالمدينة عام ٥٤ هـ/٦٧٤ م. صحابي جليل وشاعر مخضرم في الجاهلية والإسلام. كان شاعر النبي بعد اسلامه، فضله =

أغــرّ عــليــه لــلنــبــوة خــاتــم   مــن الله مشــهــود يــلوح ويَــشْــهَــدُ
وضم الالــه اسم النبي الى اسمــه   إذا قــال في الخمس المؤذنُ أشهـدُ

فينبغي ان لا يذكر مع الشهادة الأولى غير الثانية محافظة على المرويّ واتبـاعه للسلف الصالح والطريق الواضح. فخير أمور الدين ما كان سّنة، وشرّ الأمـور المحدثات البدائع. فزيادة الشيعـة وأشهد أنّ عليـاً وليّ الله[1] وان كان مـوافقاً لنفس الأمـر مما لم يـرو عن الأئمة الاطهـار ولا عن غيرهم من الأخيـار. فإن رووا فيه شيئاً فهو محض بهتان يظهر لمن تتبّع كتب الأئمة من ذوي العرفان.

وأبدع من ذلك وأشنع ما يصدر عن بعض الجهلة والعوام من قـولهم لا اله إلا الله «شيخ عبد القادرشي لله» لأنه مع ما فيها من المحذور السابق، قـد نهى عن التلفظ بها وحدها فضلاً عن اقترانها مع اسم الله تعالى الذي كان رفعة ذكـر النبي صلى الله تعالى عليـه وسلم به على غيـره، وبـه صـرّح جمـع من الفقهاء. قال عبد البّر[2] في شرح الرحبانية عند قوله.

كـذا قـول «شي لله»، قيــل بكفـره   ويـا حـاضـر يـا نـاظـر ليس يكفــر

لعل وجهه: أنه طلب شيئاً لله تعالى، والله سبحانـه غني عن كل شيء والكل مفتقر ومحتاج اليه. ثم قال: وينبغي أن يرجّح عدم التكفير فإنـه يمكن أن يقـول أردت أطلب شيئاً إكـراماً لله تعـالى. ثم ذكـر ابن عـابـدين[3] عليـه

= كثيـر من النقاد والأدبـاء لجودة شعـره. راجع عنـه: الاعلام جـ٢ ص ١٧٥، الإصـابة جـ١ ص ٣٢٦، ابن عسـاكر جـ٤ ص ١٢٥، تهـذيب التهـذيب جـ٢ ص ٢٤٧، والأغـاني جـ٤ ص ١٣٤، خزانة الأدب جـ١ ص ١١١، أدبـاء العرب جـ١ ص ٢٧٢، وغيـر ذلك من كتب التـراجم. والبيتان من قصيـدة طويلة يمـدح فيها النبي ﷺ وردت كـاملة في ديـوانـه وذكـرهـا السيوطي في الخصائص جـ١ ص ٧٨.

(١) يقصد المؤلف بهذه الزيادة ما يذكره الشيعة في الأذآن.

(٢) هـو عبد البّـر بن محمد بن محمـد المعروف بـابن الشحنة. ولـد بحلب عام ٨٥١ هـ/١٤٤٨ وتوفي بالقـاهرة عـام ٩٢١ هـ/١٥١٥ م. قاض فقيـه حنفي. صنف كتباً كثيـرة. راجع عنـه: الأعلام جـ٣ ص ٢٧٣، إعلام النبلاء جـ٥ ص ٣٨١.

(٣) هــو محمـد أمين بن عمــر بن عبـد العــزيــز عــابــدين الــدمشقي. ولــد بــدمشق عــام ١١٩٨ هـ/١٧٨٤ م. وفيها توفي عام ١٢٥٢ هـ/١٨٣٦ م. فقيه الديار الشامية وإمـام الحنفية في عصـره. وضع الكثيـر من المؤلفات. راجـع عنـه: الأعـلام جـ٦ ص ٤٢، روض البشـر ص ٢٢٠، فهرس المؤلفين ص ٢٢٩.

الرحمة في حاشيته في باب الردة بعد ما ساق كلام شارح الرحبانية، قُلتُ: فينبغي أو يجب التباعد عن هذه العبارة. وانّ ما فيه خلاف يؤمر بالتوبة والاستغفار وتجديد النكاح. ثم قال: لكن هذا إن كان لا يدري ما يقول، أما إن قصد المعنى الصحيح فالظاهر انه لا بأس به.

قال بعض الفضلاء وأغلب من يتكلّم بهذه العبارة اليوم عوامّ أو لا يعرف اللغة العربية. فكيف يتدبر معنى صحيح منها لا يُفهم لا بتكلّفات كثيرة، فيجب التجنب عنها وزجر من تكلم بها. ومن الغريب ان بعضهم أتخذ ذلك ورداً يتلوه في الأوقات المأثورة، وذكراً يتوسل به للوصول الى الدرجات العالية المبرورة. وزعم كثير من الجهلة أن نحو ذلك جائز عند أرباب التصوف، ولو كان مخالفاً للشرع، مع أن المحققين في الصوفية قدست أسرارهم الزكية مصرحون بأن لا فرق في الحقيقة بين الشريعة والطريقة. ومن قال إن الباطن يخالف الظاهر فهو للكفر أقرب منه للإيمان[1]. والاستدلال على المخالفة بقصة الخضر عليه السلام في غاية الضعف كما لا يخفى علي من له أدنى تدبّر في آي الفرقان.

قال الشيخ عبد القاهر الجيلي[2] قدس الله سرّه العزيز: جميع الأولياء لا يستمدّون إلا من كلام الله ورسوله ولا يأخذون ولا يعملون إلا بظاهرهما.

وقال أبو سليمان الداراني[3] ربما تقع النكت من نكت القوم فلا أقبل

---

(١) هذا القول ينسب للصوفية الذين يرون أن الحق يتجلى في صور الموجودات. فالحقيقة الوجودية لها صورتان: الباطن المعبَّر عنها بالحق والظاهر المعبّر عنها بالخلق، وأنه لا فرق بين الحق والخلق، لأنه في الحقيقة ليس إلا الله، وبناءً على هذه الرؤية الصوفية يكون الظاهر والباطن بمعنى واحد. ولعل خير من عبَّر عن هذا الاتجاه من الصوفية محي الدين بن عربي وابن سبعين وابن الفارض.

(٢) هو الإمام عبد القادر بن موسى بن عبدالله بن جنكي دوست الحسني، محي الدين الجيلي أو الجيلاني، ولد في جيلان عام ٤٧١ هـ/١٠٧٨ م. وتوفي ببغداد عام ٥٦١ هـ ١١٦٦ م. من كبار الزهاد والصوفية. ترك العديد من المؤلفات الهامة في مجال الوعظ. راجع عنه: الأعلام جـ ٤ ص ٤٧، طبقات الشعراني جـ ١ ص ١٠٨، شذرات الذهب جـ ٤ ص ١٩٨، النجوم الزاهرة جـ ٥ ص ٣٧١، وفوات الوفيات جـ ٢ ص ٢. وغير ذلك. وليس كما ورد اسمه في النص (عبد القاهر) ولعله تصحيف من الناسخ.

(٣) هو الإمام عبد الرحمن بن أحمد بن عطية العنسي. توفي بالقرب من دمشق عام ٢١٥ هـ/ ٨٣٠ م. زاهد مشهور من كبار الصوفية. راجع عنه: الأعلام جـ ٣ ص ٢٩٣ =

منه إلا بشاهدين عدلين الكتاب والسّند.

وقال أبو سعيد الخراز[1] كلّ فيض باطن يخالفه ظاهر فهو باطن.

وقال أبو القاسم الجنيد[2] البغدادي قدّس الله سرّه الطرّق كلها مسدودة الأعلى من اقتنى أثر الرسول صلّى الله تعالى عليه وسلم. وقال من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به في هذا العلم، لأن علمنا ومذهبنا مقيد بالكتاب والسنة.

وقال السُرَيْ[3] قدّس سّره من ادعى باطن علم ينقضه عليه ظاهر حكم من الكتاب والسنّة فهو غالط. الى غير ذلك من النصوص. فإن أردت تمام الكلام هنا فارجع الى ما ذكره أبو الفوز الشيخ محمد أمين السويدي[4] عليه الرحمة في كتابه المسمى بالكوكب الزاهر في الفرق بين علمي الباطن والظاهر.

خاتمة

هذا آخر ما اردناه، وغاية ما قصدناه من شرح هذه الكلمة الطيبة السائغة العذبة. وفوائدها لا تعد ولا تحصى. وفضائلها لا تحدّ ولا تستقصى.

= طبقات الصوفية ص ٧٢، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٧٦، حلية الأولياء جـ ٩ ص ٢٥٤، تاريخ بغداد جـ ١٠ ص ٢٤٨.

(١) هو الإمام أحمد بن عيسى الخراز. توفي ببغداد حوالي العام ٢٧٩ هـ. من كبار الوعاظ والصوفية. راجع عنه: طبقات الصوفية ص ٥٣، معجم المصطلحات الصوفية ص ٨٩.

(٢) هو الإمام الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز. توفي ببغداد عام ٢٩٧ هـ/ ٩١٠ م. صوفي، عالم بالدين والعقيدة. وصفه ابن الأثير بقوله: إمام الدنيا في زمانه، له بعض الرسائل، راجع عنه: الأعلام جـ ٢ ص ١٤١، وفيات الأعيان جـ ١ ص ١١٧، حلية الأولياء، جـ ١٠ ص ٢٥٥، صفة الصفوة جـ ٢ ص ٢٣٥، تاريخ بغداد جـ ٧ ص ٢٤١، طبقات السبكي جـ ٢ ص ٢٨، طبقات الحنابلة ص ٨٩، طبقات الشعراني جـ ١ ص ٧٢ وطبقات الصوفية ص ٣٦.

(٣) هو سري بن المغلس السقطي، توفي ببغداد حوالي العام ٢٥٣ هـ/ ٨٦٧ م. من كبار المتصوفة، وهو أول من تكلم في بغداد بلسان التوحيد وأحوال الصوفية كان استاذاً للجنيد. راجع عنه: الأعلام جـ ٣ ص ٨٢، طبقات الصوفية ص ٤٨، وفيات الأعيان جـ ١ ص ٢٠٠ صفة الصفوة جـ ٢ ص ٢٠٩، حلية الأولياء جـ ١٠ ص ١١٦، لسان الميزان جـ ٣ ص ١٣، وطبقات الشعراني جـ ١ ص ٦٣، تاريخ بغداد جـ ٩ ص ١٨٧.

(٤) هو محمد أمين بن علي بن محمد سعيد السويدي البغدادي، توفي في بريدة (بنجد) عام ١٢٤٦ هـ/ ١٨٣٠ م. وهو عائد من الحج. من علماء العراق. له مؤلفات عديدة لا سيما في الفقه الشافعي. راجع عنه: الأعلام جـ ٦ ص ٤٢، المسك الأذفر ص ٨٢.

كيف لا وهي الشجرة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، والحجة الواضحة لمن أراد السلوك في طريق الحق والاهتداء، وصّح انها مكتوبة على باب دار الخلد ومسكن الأبرار، وكثيراً ما شوهدت مرسومة على أوراق الأشجار، وعليها لكلّ قوم من ذوي العرفان كلام لا يسعه بيان. فلو استوعبت جميع ما اشتملت عليه من الرموز والإشارات، لبلغ ذلك ما بلغ من المصنفات، فاقتصرت على هذا المقدار واكتفيت بما اودعت من الدقائق والأسرار، لما أن حوادث الزمان قد شتت الأفكار والأذهان.

ولقد بذلت مزيد الجهد في كشف كنوز دقائِقها وصرفت غاية الوسع في فتح مقفلات جواهر حقائقها، حتى أنّي لم أزل آناء الليل وأطراف النهار، اسرحٍ في رياض مبانيها ومعانيها الأنظار والأفكار وقد نسبت كل قول لقآئله، واحلتُ كلّ مبحث طويل إلى محله، ولم يكن مما أنتجه فكري الكليل، إلاّ أقلً قليل، وقد راجعت بغالب مسآئله فضلاء الزمان وتلقيت أكثر فوائده ومباحثه عن المشايخ أهل العرفان. فاستعيذ بالله تعالى من جاهل يتحامل، أو حاسد يعرف الحق ويتجاهل. والمسؤول منه جلّ شأنه أن يبلغنا أحسن الأمل، ويوفقنا في القول والعمل، وينجينا من فتن الدنيا ومحن الآخرة، ويمتعنا يوم الفزع الأكبر برؤيته الباهرة.

والحمد لله على ما ألهمنا من حقائق المعاني ووفقنا جل شأنه لكشف دقائق المباني، والصلاة والسلام على بحر العلم وكنز الحكم، وأفضل الأنام وخير الأمم، وعلى آله وصحبه وجنده وحزبه، ما وحَّد موحِّد، وعبدالله عابد.

وأسأل الله تعالى أن يجعل هذه الكلمة المباركة رفيقتي حين الممات، ومؤنسة لي في ظلمات القبر بعد الوفاة، ويجعلني بهذا الشرح قرير العين، ويبلغني به أمنيتي في الدّارين.

وقد استراح القلم من تسويد هذه الأرقام لليلتين بقيتا من جمادي الآخرة من السنة الثامنة والتسعين بعد المائتين والألف من هجرة الحبيب عليه أفضل الصلاة وأكمل السلام، وذلك على يد جامعها الفقير السيد محمود شكري ابن السيد عبدالله بهاء الدين الآلوسي غفر الله لهما ولكافة المسلمين، يوم الثلاثاء وقت آذان المغرب.

الفهارس

فهرس أسماء المراجع والمصادر

- القرآن الكريم.
- كتب الصحاح والسنّة: البخاري، مسلم، الترمذي، مسند أحمد بن حنبل، سنن أبي داود، ابن ماجه.
- الإبانة عن أصول الديانة للأشعري، ط. حيدر آباد (الهند)، ١٣٢١ هـ.
- الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، ط. القاهرة، ١٩٥١.
- أحكام القرآن للبيهقي، ط. دار القلم، بيروت، بدون تاريخ.
- إحياء علوم الدين للغزالي، القاهرة، ١٣٥٣ هـ.
- أدباء العرب لبطرس البستاني، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٩.
- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحموي، ط مصر، ١٩٢٥.
- الاستيعاب في أسماء الأصحاب لابن عبد البرّ، ط مصر، ١٣٥. هـ/١٩٣٩.
- إشارات المرام من عبارات الإمام البياضي للشيخ محمد زاهد الكوثري، القاهرة، ١٣٦٨ هـ.
- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، ط مصر، ١٣٥٨ هـ/١٩٣٩.
- أضواء على السنّة المحمدية لمحمود أبو رية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٠.
- أعلام العراق لمحمد بهجة الأثري، ط مصر، ١٣٤٥ هـ.
- أعلام النبوّة للماوردي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٣ هـ/١٩٧٣.
- أعيان الشيعة لمحسن الأمين، دمشق، ١٣٥٣ هـ/١٩٣٥.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ط مصر، ١٣٢٣ هـ.
- إنبّاه الرواة على أنباه النحاة للقفطي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٦٩ هـ/١٣٧٤ هـ.
- الأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي، ط مصر، ١٢٨٣ هـ.

- الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري، ط القاهرة، ١٣٨٠ هـ./١٩٦١.
- البدء والتاريخ للمقدسي، نشرة بروكلمان، بغداد، ١٩١٦.
- البداية والنهاية لابن كثير، ط القاهرة، ١٣٥١ هـ.
- البدر الطالع للشوكاني، ط مصر، ١٣٤٨ هـ.
- بغية الوعاة للسيوطي، ط مصر، ١٣٢٦ هـ.
- بغية الملتمس لابن عميرة الضبّي، ط مدريد، ١٨٨٤.
- تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان، ط مصر، ١٩١٣/١٩١٤.
- تاريخ بغداد لابن الخطيب البغدادي، ط مصر، ١٣٤٩ هـ.
- تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي، ط دمشق، ١٣٦٥ هـ./١٩٤٦.
- تاريخ قضاة الأندلس للنباهي، ط مصر، ١٣٠٢ هـ.
- تبيين كذب المفتري لابن عساكر، ط دمشق، ١٣٧٤ هـ.
- تحفة المريد على جوهرة التوحيد للبيجوري، ط دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٦ هـ./١٩٦٦.
- تذكرة الحفاظ للذهبي، ط حيدر آباد (الهند)، ١٣٧٣ هـ.
- التراث لتوماس أرنولد، ط الموصل (العراق)، ١٩٥٤.
- التصوير عند العرب لأحمد تيمور، ط مصر، ١٩٤٢.
- التعريفات للجرجاني.
- تلبيس ابليس لابن الجوزي، ط مصر، ١٣٦٨ هـ.
- التهذيب لابن عساكر، ط. دمشق، ١٣٢٩ هـ.
- تهذيب الأسماء واللغات للنووي، ط مصر، بدون تاريخ.
- تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني، ط حيدر آباد (الهند)٧ ١٣٢٥ هـ.
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ط مصر، ١٣٥٤ هـ/١٣٦٩ هـ.
- جذوة الإقتباس لابن القاضي، ط فاس، ١٣٠٩ هـ.
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية للقرشي، ط حيدر آباد (الهند)، ١٣٣٢ هـ.
- حسن المحاضرة للسيوطي، ط مصر، ١٢٩٩ هـ.
- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني، ط مصر، ١٣٥١ هـ.
- خزانة الأدب للبغدادي، ط مصر، ١٢٩٩ هـ.
- خطط مبارك لعلي مبارك، ط مصر، ١٣٠٤ هـ/١٣٠٦ هـ.
- خطط المقريزي للمقريزي، ط القاهرة، ١٣٢٤ هـ.
- خلاصة الأثر للمحبي، ط مصر، ١٢٨٤ هـ.
- الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني، ط حيدر آباد (الهند)، ١٩٤٥/١٩٥٠.
- دائرة المعارف الإسلامية، مترجمة إلى العربية، ط مصر، ١٩٣٣/١٩٥٧.

- الديباج المذهب لابن فرحون، طـ مصر، ١٣٥١ هـ.
- الرسالة المستطرفة للكتابي، طـ بيروت، ١٣٢٢ هـ.
- روائع البيان للصابوني، بيروت، ١٣٩١ هـ.
- روض البشر للشطي، طـ دمشق، ١٣٦٧ هـ.
- الروضة البهية لابن عذبة، طـ. حيدر آباد (الهند)، ١٣٢٢ هـ.
- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي.
- السيرة النبوية للحافظ الذهبي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩.
- السيرة النبوية لابن هشام، طـ مصر، ١٣٥٥ هـ/١٩٣٦.
- شرح ابن عقيل، طـ. القاهرة، ١٩٦٤.
- شرح البيجوري على جوهرة التوحيد، البيجوري، طـ القاهرة، ١٣٥٢ هـ.
- شرح شواهد المغني للسيوطي، دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٣٨٦ هـ/١٩٦٦.
- الشعر والشعراء لابن قتيبة، طـ مصر، ١٣٦٤ هـ.
- صفة جزيرة الأندلس للحميدي، طـ مصر، ١٩٣٧.
- صفة الصفوة لابن الجوزي، طـ حيدر آباد (الهند)، ١٣٥٥ هـ.
- صفة صلاة النبي للألباني، منشورات المكتب الإسلامي، بيروت، ١٣٩١ هـ.
- الضوء اللامع للسخاوي، طـ مصر، ١٣٥٣ هـ/١٣٥٥ هـ.
- طبقات ابن سعد، طـ ليدن، ١٣٢١ هـ.
- طبقات الأطباء والحكماء لابن جلجل، طـ مصر، ١٩٥٥.
- طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، طـ مصر، ١٣٧١ هـ/١٩٥٢.
- طبقات الشافعية للسبكي. طـ مصر، ١٣٢٤ هـ.
- طبقات الصوفية للسلمي، دار الشعب، القاهرة، ١٣٨٠ هـ.
- الطبقات الكبرى للشعراني، طـ مصر، ١٣٤٣ هـ/١٩٢٥.
- طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن قيم الجوزية، طـ القاهرة، ١٣٥٧ هـ.
- ظهر الإسلام لأحمد أمين، القاهرة، ١٣٨١ هـ.
- عشائر العراق لعباس العزاوي، طـ بغداد، ١٣٦٥ هـ / ١٣٧٥ هـ.
- العقيدة الإسلامية وأسسها للشيخ الحبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨.
- علم أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف، طـ دار القلم، الكويت، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٧.
- علم البيان لعبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت، ١٤٠٥ هـ/١٩٨٥.
- عيون الأثر لابن سيد الناس اليعمري، طـ مصر، ١٣٥٦ هـ.
- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجوزي، طـ مصر، ١٣٥١ هـ.
- الفتاوى الكبرى لابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧ هـ/١٩٧٨.

- فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، بدون تاريخ.
- فجر الإسلام لأحمد أمين، طـ القاهرة، ١٩٥٩.
- الفرق بين الفرق للبغداي، طـ القاهرة، ١٣٢٨ هـ/١٩١٠.
- الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.
- الفهرست لابن النديم، طـ ليبزج، ١٨٧٢.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية للكنوي، طـ مصر، ١٣٢٤ هـ.
- فوات الوفيات للصفدي، طـ مصر، ١٣٥٥ هـ.
- القاموس المحيط للفيروزآبادي، طـ مصر، ١٣٣٠ هـ.
- كشف الظنون عن أسامي الفنون لحاجي خليفة، طـ استنبول، ١٣٦٠ هـ/١٩٤١.
- الكافية في علم النحو لابن الحاجب، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ.
- اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير، طـ مصر، ١٣٥٦ هـ/١٣٦٩ هـ.
- لب الألباب للسهروردي، طـ بغداد، ١٣٥١ هـ/١٩٣٣.
- لسان العرب لابن منظور.
- لسان الميزان لابن حجر العسقلاني، طـ. حيدر آباد (الهند)، ١٣٣١ هـ.
- مختصر تفسير الطبري، دار القرآن الكريم، بيروت، ١٤٠٣ هـ. /١٩٨٣.
- مروج الذهب للمسعودي، طـ القاهرة، ١٩٥٩.
- ميزان الاعتدال للحافظ الذهبي، طـ حيدر آباد (الهند)، ١٣٣٣ هـ.
- المسك الأذفر للآلوسي، طـ بغداد، ١٣٤٨ هـ.
- المسامرة بشرح المسايرة لابن الهمام، استنبول، ١٣١٠ هـ.
- المطوّل على التخليص للتفتازاني، طـ. الأستانة، ١٢٦٠ هـ.
- معالم الإيمان لابن الدباغ، طـ. تونس، ١٣٢٠ هـ.
- معجم البلدان لياقوت الحموي، طـ. مصر، ١٣٢٣ هـ/١٣٢٥ هـ.
- المعجم الفلسفي لجميل صليبا، بيروت، ١٩٧٨.
- معجم المصطلحات الصوفية لعبد المنعم الحفني، دار المسيرة، بيروت، ١٤٠٠ هـ. /١٩٨٠.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ.
- مفتاح السعادة لطاش كبرى زادة، طـ حيدر آباد (الهند)، ١٣٢٩ هـ.
- مقالات الإسلاميين للأشعري، طـ دار النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٠.
- الملل والنحل للشهر ستاني، طـ. القاهرة، ١٩٦١.

- موقف الإسلام من الوثنية واليهودية والنصرانية للشيخ حسن خالد، معهد الإنماء العربي، بيروت، ١٩٨٦.
- النبوّة والأنبياء للصابوني، ط. مكة المكرمة (العربية السعودية)، ١٤٠٠ هـ/١٩٨٠.
- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام لعلي سامي النشار، ط. القاهرة، ١٩٥٤.
- نظرية النسخ في الشرائع السماوية لشعبان محمد إسماعيل، ط. القاهرة، ١٩٧٧.
- نظم الفرائد للشيخ زادة، ط. القاهرة، ١٣١٨ هـ.
- نفح الطيب للمقري، ط. مصر، ١٣٠٢ هـ.
- نكت الهميان في نكت العميان للصفدي، ط. مصر، ١٣٢٩ هـ/١٩١١.
- نهاية الأرب في فنون الأدب للنويري، ط. مصر، ١٣٧٤ هـ/١٩٥٥.
- هدية العارفين لإسماعيل البغدادي، ط. استنبول، ١٩٥١.
- وفيات الأعيان لابن خلكان، ط القاهرة، ١٢٩٩ هـ.

فهرس الآيات القرآنية
مرتبة حسب ورودها في الكتاب

الآية	رقمها	اسم السورة	الصفحة
ولن يتمنّوه أبداً	٩٥	البقرة	٤٢
ولا يتمنونه أبداً	٧	الجمعة	٤٢
إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت. . .	٦	الجمعة	٤٢
قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة. . .	٩٤	البقرة	٤٢
لن تراني	١٤٣	الأعراف	٤٢
لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا	٢٢	الأنبياء	٥٠
وإلهكم إله واحد	١٦٣	البقرة	٥١
ولله جنود السموات والأرض	٤	الفتح	٥٥
وله ما في السموات والأرض	٥٢	النحل	٥٥
والله من ورائهم محيط	٢٠	البروج	٥٥
لا إله إلاّ هو	٢٥٥	البقرة	٥٥
هل تعلم له سميّاً	٦٥	مريم	٥٦
إجعل لنا آلهة كما لهم آلهة	١٣٨	الأعراف	٥٦
وإلهكم وإله موسى	٨٨	الكهف	٥٦
إن الله وملآئكته يصلون على النبي. . .	٥٦	الأحزاب	٦٢
وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم	٣٣	الأنفال	٦٣
واتخذ الله إبراهيم خليلاً	١٢٥	آل عمران	٦٤
وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل	١٢٧	البقرة	٦٤
وأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق. .	٦٣	الشعراء	٦٦
وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر.	٦٠	البقرة	٦٦
يا جبال أوّبي معه والطير وألنّا له الحديد	١٠	سبأ	٦٧
وحشر لسليمان جنوده من الجنّ	١٧	النمل	٦٨
فليأتو بحديث مثله إن كانوا صادقين	٣٤	الطور	٧٠
قل فأتوا بعشر سور منه مفتريات	١٣	هود	٧٠
أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله	٣٨	يونس	٧٠
قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله. . .	٨٨	الإسراء	٧٠
ولكن رسول الله وخاتم النبيين	٤٠	الأحزاب	٧١

فهرس أوائل الأحاديث
الواردة في الكتاب

فهرس الأشعار الواردة في الكتاب
مرتبة على حروف المعجم

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

فهرس أسماء الفرق
والمذاهب والطوائف الواردة في الكتاب
مرتبة على حروف المعجم

فهرس أسماء الأعلام
مرتبة على حروف المعجم

فهرس الموضوعات

